عصام عبد العظيم رمضان جاد

مشوار طويل

من قرية أبو الغر إلى لندن

رحلة عصام جاد

الطبعة الأولى – فبراير 2021

بطاقة الكتاب

عنوان المؤلف	مشوار طويل من قرية أبو الغر إلى لندن
المؤلف	عصام عبد العظيم رمضان جاد
التصنيف	رحلة عصام جاد
رقم الإيداع القانونى	3299 - 2021
الترقيم الدولى	978-977-6835-77-1
رقم الإصدار الداخلى	الطبعة الأولى فبراير 2021
عدد الصفحات	98 صفحة
تصميم الغلاف	مؤسسة النيل والفرات

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ولا يحق لأى دارنشر طبع ونشر وتوزيع الكتاب أو ترجمته أو الإقتباس منه أو نشره على النت الا بموافقة كتابية وموثقة من المؤلف

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع
ثورة مصرية تشرق إبداعاً على الوطن العربي
رئيس مجلس الإدارة
ناجى عبد المنعم
مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع
أسسها الشاعر ناجى عبد المنعم عام 2017
رخصة مزاولة مهنة:58365 – سجل تجاري: – 13242 / 2017 – بطاقة ضريبية: 35—01—572
عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018
هاتف:01011256943 – 01116202218 – 01202541192 تليفاكس:020554372901
النيل والفرات nagyegy200064@gmail.com
alnilwaalfourat alnilwaalfourat@gmail.com
المقر الرئيسي:ج.م.ع محافظة الشرقية – العاشر من رمضان – مجاورة 13 – امام سنتر الـ13 – عقار 304

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيم

إهـــــــداء

إلى مَن تمنيتُ أنْ أراهُ ولو مرة في العمر
إلى أبي الذي ذُبتُ شوقاً إليه وأرجو أن ألقاه في الآخرة إلى مَن كان عدم وجوده حافزاً لي في مساعدة الآخرين وكفالة الأيتام
إلى مَن كنتُ أتمنى أن يرى ثمرة عملي وكفاحي إلى مَن عرفتُ سيرتَه من الآخرين سمعاً وحكايةً
- الي امي التي ربت ثمانيه اولاد بدون دخل
- الي امي التي ضحت بشبابها وربت وعلمت
- الي الام التي تحملت الصعاب والمخاطر لتصل بأبنائها الي بر الامان
- الي الام الت ربت شبابا وعلمتهم حتي حصلوا علي اعلي الشهادات
- الي الزوجه التي تركها زوجها ولديها اطفال فحافظت عليهم في الريف والحضر

عصام جاد

مجرد سؤال ..

هل النَّجاحُ طريقٌ يَهتدي إليهِ كُلُّ فاشلٍ وضَال؟
هل النَّجاحُ خَرقٌ للعادةِ؟! أمْ أنَّ العادةَ قد جَرَتْ أنَّهُ لا نَجاحَ لمُهملٍ مُتكاسلٍ؟؟ هل النَّاجحونَ أشْخاصٌ محظوظونٍ؟! أمْ أنَّهم هم الذين يُزلِّلون الصِّعابَ و يُمَهِّدون الطريقَ للحظ كَي يأتيَ إليهم؟؟ إنَّني لأعجَبُ!!بل وتُصيبُني نوبةٌ من الجُنونِ, حينما أجدُ شابَّاً يمتلكُ كُلَّ مقوِّمات النَّجاحِ من قُوةٍ ونشاطٍ وعقلٍ مُنفتحٍ على كل الثقافاتِ, لكنَّهُ لا ينظرُ إلىَ هذا كُلِّهِ ويتوكَّأُ على عصَا العونِ من والدِهِ, الذي أضاعَ عُمرَهُ و وَهَنَ عظمُهُ؛ أملاً في عَصَا ولدهِ الذي ظلَّ يحلُمُ ويحلُمُ أنْ يشتدَّ عُودُه يوماً ليتوكَّأ عليه.

منذُ اللحظة الأولى

إنَّ الحياةَ على هذا الكوكبِ ما هي إلا مِضمارُ سِباقٍ؛ وكلُّ مُتسابقٍ حريصٍ على الفوزِ بهذا السِباق, أنت نفسُكَ خُضتَ هذا السِّباقَ من قبل, منذ أنْ كنتَ نُطفةً في صُلبِ أبيك, سابقتَ أقرانَكَ وبذلتَ جُهدَك حتى فُزتَ بالسِّباقِ, لتعلَمَ أنك في سِباقٍ وكِفاح منذُ اللحظة الأولى. فلا تتكاسلْ, ولا تشْغلْ تفكيركَ في أسبابِ فَشَلِكَ قبل أنْ تفشلَ, فالسببُ الأولُ للفشلِ؛ هو أنْ تجدَ لفشلكَ سبباً تُعلقهُ عليه.

إنَّ كثيراً من النَّاجحين كانت لديهم كلُّ أسبابِ الفشلِ لكنَّهم لم يركنوا إليها؛فلم يفشلوا.

كانت لديهم كلُّ الأعذار التي يعتذرون بها, لكنهم ضربوا بها عرض الحائط؛ فلم يعتذروا, ولم يفشلوا. بل تغلَّبوا على كل العقبات و طَوَّعوا كلَّ الصِّعاب لصالحِهم فنالوا ما أمَّلوه, وطبَّقُوا حَرفيًا قولَ الشاعر:

وما نيلُ المطالبِ بالتَّمنِّي ** ولكنْ تُؤخَذُ الدُّنياغِلابا.

قبل الحُكم

وقبل أنْ تحكمَ على كلامي هذا بالصِّدقِ أو الكذبِ, أو أنَّهُ محضُ خزعبلات وخُرافات, دعني أسألُكَ سؤالاً.. هل تؤمنُ بقولِ القائلِ (ليسَ مَنْ رأى كمنْ سمعَ)؟؟ إنْ كنتَ تؤمنُ بهذا, فلكَ أنْ تعلمَ أنَّ كلَّ كلمةٍ خاطبتُكَ بها, إنَّما هي عن تجربةٍ عشْتُها وتجرّعتُ عن حبِّ مُرَّها ومَرارَها. وبعد إلحاح طويلٍ مِنْ أحبتي الذين شهِدوا رحلةَ كفاحِي وعاينوها, قررتُ أنْ أقدمها إليكَ على طبقٍ من ذهبٍ, في صورة روايةٍ تحكي فصُولُها قصةَ كفاحِي وتعبي وعنائي إلى أنْ وصلتُ, بفضل الله تعالى؛ إلى ما أنا فيه الآن, فتأنّى قبل الحُكمِ.

نشأةُ المُكافِح...

إنَّهُ لمنَ العجيبِ والمُدهشِ أنْ يكونَ للإنسانِ حَظَّاً من البيئةِ التي تربَّى فيها,ونشأ بين جوانبها, فإذا رأيتَ شَخصاً ما, يغلبُ على طبعِهِ الشِّدةُ والصّلابَةُ والحَسْمُ؛ فاعلمْ أنّهُ تربّى في بيئةٍ قاسيةٍ, غِذاؤها الجُوعُ والعَوَزُ, وشرابُها قطراتُ العرقِ المتساقِطَةُ من جبهاتِ الكادحينَ المكافحينَ, لكنَّ قُلوبَهم لا تعرفُ للحقدِ والكراهيةِ سبيلا, كأفئدة الطيرِ لا تُغرِّدُ إلا بالودِّ والحُبِّ والسَّلام.
هذا بخلاف مَنْ نشَأَ في بيئةٍ مُتْرَفَةٍ, تُزيّنُها ألوانُ الترفِ والبزَخِ واللينِ, لا يعرفُ اللونَ الأسودَ أبدا, فإذا اشتدتْ عليه الحياةُ قليلا؛ تضيقُ نفسُهُ ذرعاً, وينتحرُ قلبُهُ أسَفاً, ولا يَصْبِرُ على ضُرٍ مسَّه.

أمّا أنا ((عصام جاد..))

فقد نشأتُ في قريةٍ اسمها (أبو الغرِّ) قريةٍ صغيرةٍ من قُرى مركز كفر الزيات, محافظة الغربية, وقد تأثّرتُ كثيراً بنشأتي في هذه القريةِ الصغيرةِ التي لا تمتلكُ من مقوِّماتِ الحياةِ إلا القدْرَ البسيطَ جداً, لك أنْ تتخيلَ معي معنى كلمة (أبو الغرِّ), الغَرُّ هو الهلاكُ والعذابُ, هكذا تقول اللغةُ العربيةُ.
وبما أنَّها كذلك؛ فقد كانت نشأتي فيها أشبهُ ما يكونُ بالمُحاربِ الذي تُحيطُ به الأخطارُ من كُلِّ ناحيةٍ, ولا يُساعدني في التَّغلُّبِ

عليها إلا هدفي وحُلمي الذي لا يَبرحُ عقلي ولا يفارقُ وجداني أبداً, وكأنني كما أخذتُ حَظَّاً من البيئةِ التي نشأتُ فيها, كذلكَ قد أخذتُ حظاً من اسمي(عصام جاد) فكنتُ منذُ اللحظة الأولى عِصامياً جادًا.

فَتَحْتُ عينيَّ على الدنيا فلم أجدْ والدي (الشيخ عبد العظيم جاد) الذي توفاهُ "اللهُ تعالى" وعُمْرِي لا يتجاوزُ الأربعةَ أعوامٍ, مات "عليه رحمةُ اللهِ" وتركَ زوجةً وثمانيةَ أولادٍ, لكنَّهُ لم يترُكْ لهم من حُطامِ الدُّنيا إلا قطعةِ أرضٍ تبلغُ مساحتها فداناً ونصف الفدان، استأجرهم أحدُ المُزارعينَ في القريةِ مقابلَ ثلاثِ جنيهاتٍ شهرياً, فكانتْ أُمِّي الحاجة (نجيّة محمد جاد) التي تركها زوجُهَا وهي بنتُ التاسعةَ والثلاثين ربيعًا, تُربِّي وتُطعِمُ وتعلِّمُ ثمانيةَ أفرادٍ من الثلاثِ جُنيهات, فلك أنْ تتخيلَ حجمَ البُؤسِ والعَوزِ الذي تعيشُهُ هذهِ الأسْرَة.

ولما بلغتُ السادسةَ من عُمري كنتُ شديدَ الإحساسِ بأمي, فكنتُ أشعرُ بآلامِهَا وتعبها, فإلى هذه اللحظةِ لا تغيبُ أُمِّي عن عيني وهي تُصارعُ عَنَت الحياةَ من أجلنا, كذلكَ لا تنسى ربَّاتُ بُيوتِ العائلةِ مساعدتها لهنَّ في أعمالِ البيتِ وتعليمهنَّ فُنُونَ الطبخِ فكانتْ (عليها رحمةُ اللهِ)رغمَ عَوَزِهَا واحتياجها مِعْطَاءَة ، تحبُّ تقديم العَونِ لمنْ حولها, وغرستْ فينا هذا الأمْرَ منذُ الصغرِ وكذلكَ علمتْنَا كيف يكون الاعتمادُ على النفس؟ فكنتُ وأنا في هذه المرحلةِالأولى من عمري أذهبُ إلى مَزارعِ القطنِ بِصُحْبَةِ صديقِ الطُّفُولةِ (عبد الجليل دغيم) الذي أثَّر كثيراً في طُفُولَتي ؛ فكنَّا لا نفترقُ أبداً حيثُ كانَ رفيقَ الدَّربِ في المدرسةِ وكذلك في

الحقولِ ومزارع الأقطان تحت إمْرَةِ وقيادةِ والدهِ الخولي المرحوم(أحمد دغيم) وكنتُ أعملُ بجمعِ الأقطانِ بدون يوم راحة

بما يعادل عشرة قروش في اليوم الواحد، فكنتُ أُعطيهم لأمي لأساعدهَا و أخففَ عنها, فكانتْ تُعطيني قِرشًا منهم, ولأنني كنتُ شغُوفًا بحُبِّ(الحلاوة الطحينية) كنتُ أشتري به هذا الشيء المُحبَّبَ لديَّ كثيرا، كذلك كانت تعطيني الغداء معي في سرة عبارة عن قطعة من القماش بداخلها رغيف خبز وقطعة جبن،وفي هذه الأثناءِ من المرحلة العمريةِ الأولى من حياتي لا أنسى إنسانَةً عظيمةً أثَّرتْ بشكلٍ إيجابيٍّ في شخصيتي وهي (الأبلة فضيلة) مدرسة الابتدائي زوجة ناظر المدرسة، التي كانتْ حريصةً كلَّ الحرصِ على إدْخَالِ الفرحةِ في قلوبنا ورسم الابتسامَةَ على شفاهِنَا ؛ فكنتُ أذهبُ إلى بيتها بصُحبَةِ (عبد

الجليل دغيم) ونساعدُهَا في أعمالِ البيتِ وفي النهايةِ تعطينَا الحلوى مكافأةً لنَا، كل هذا في الفترةِ ما بين عام 1954 وحتى عام 1960م ، أيضاً كان أخي الأكبر الدكتور (رمضان جاد)هو مَن يتولّى أمرنا بعد وفاة الوالد, وكان في هذا الوقت لا يزالُ يدرس في المعهدِ العالي التُّجاري بمدينةِ طنطا, وكان له تأثيرٌ عظيمٌ في شخصيتي وسيتضحُ ذلك فيما بعد, لكن ما يعنيني في هذا المشهد أنّه تفوّق في دراستِهِ فأصبحَ مُعيداً بالمعهدِ يعمل به مُدَرِّساً مُساعِداً, ولأجلِ ذلك انتقل بنا إلى مدينةِ طنطا لنسْكُنَ في شقةٍ بالإيجار بالقربِ مِنْ سجن طنطا العُمُومي, وكانت متواضعةً للغاية, أذكرُ أنها لم يكن بها الماءُ فكنَّا نذهبُ إلى مكانٍ بعيدٍ لجلْبِ ما نحتاجُهُ من الماءِ, وعلى كُلٍّ فقد بدأتُ منها فصْلاً آخرَ من فُصُولِ قِصَّة كِفاحي.

ابنُ العشرةِ أعوامٍ يحملُ حقائبَ المُسافرينَ بمحطةِ قطاراتِ طنطا...

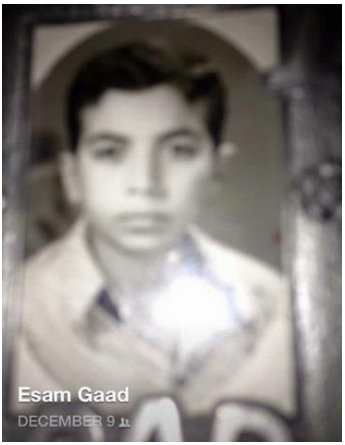

بعد الانتهاءِ من اليوم الدراسيِّ, كنتُ أذهبُ إلى مجموعةٍ أهليةٍ تعملُ في مجالِ الكشَّافةِ وكان اسمُها (مجموعة النَّصر الكشفيَّةِ) وكان مقرُّها فوقَ سطحِ عمارةِ الأوقافِ, شارع المديريةِ, وكان عمري وقتها سبعة سنوات فقط, إلا أنني تعلمتُ فيها الدرسَ الأغلى والأهمَّ في حياتي على الإطلاقِ والذي بنيتُ عليه كلَّ أحلامي وأهدافي ألا وهو, الاعتمادُ على النفسِ وخدمةُ الآخرين, حيثُ كان هذا الأمر هو الهدف العام لهذه المجموعةِ الكشفيةِ, وكان قائدُ هذه المجموعة الأستاذ الدكتور/ أحمد عابد طنطاوي والأستاذ/ لطفي شمحوط الذي كانَ دائمَ الاهتمامِ بتنظيم معسكراتٍ خارجيةٍ في المدارس والمزارع, فكُنَّا نَنْصِبَ الخِيامَ في العَرَاءِ ونقوم بحراسةِ الأماكنِ والمنشآتِ ، ونظل مُرابطينَ قرابة العشرةِ أيامٍ, نقوم فيها على خدمة أنفسنا من المأكل والمشرب, ونتعلم الحرفَ الكشفية وعمل أشكال وأبراج من العصي والحبال ، وكانت هذه المعسكراتِ بلا مُقَابِل مادّي بل كانت تحتَاجُ منَّا مصْرُوفاتٍ رمزية

تُقدَّرحينها بخمسة قروش من كل فرد في المجموعة, ولأنني كنت معدوم الدخل كنت أطلبُ من أمي الخمسة قروش قيمة الاشتراك في المعسكر إلا أنها كانت ترفض وتقول (ليس معي خمسة قروش) على الرّغم مِن أنّها لو طلبَ منها أخي ((عادل)) خمسة وعشرين قرشاً (ربع جنيه) لأي غرض كانت تعطيه دون تردد، الأمرُ الذي كان سبباً رئيساً في خَلْقِ شيء من الغيرة والقهر النفسي تجاه (عادل) وللأسف لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد كان يتفنن في قهري ، أذكرُيوماً كنت خارج البيتِ ورجعتُ متأخراً قليلاً وكنت وقتها صغيراً أخاف من الظلام الذي كان يخيم على المكان حيث كنا نسكن في بيت قديم في شارع كفر عصام بجوار سوق الجمله ؛ فأخذتُ أطرقُ البابَ حتى فتح لي وإذ به يعنِّفني ولم يقم بفتح الباب لي وقال اذهب حيث كنتَ، فما كان مني إلا أنْ أخذتُ أتوسلُ إليه لكي يفتح لي لكنه رفض ؛ فنزلتُ إلى الشارع من جديدٍ فرآني رجلٌ وزوجته كانا يجلسان في الشارع يبيعان الفاكهة والخضروات فعطف عليَّ وأجلسني بينه وبين زوجته واستغرقت في النوم حتى الصباح، كل هذا أذكره لكَ عزيزي القارئ لتعلم أنّه كما كان لي أشخاصٌ أثروا إيجابياً في حياتي مثل الدكتور رمضان ،وعبد الحميد رحمة الله

عليه، وكذلك الدكتور أحمد عابد طنطاوي والأستاذ لطفي شمحوط وعمي لطفي البقال الذي كان أمام البيت وكان والدا لعادل صديقي ، وكانت أمي تذهب إليه أحيانا لتشتري ما تحتاجه آجلا لآخر الشهر ، وكانت تقول له (أنا آسفة يا عم لطفي) فكان يقول لها (يا أم الدكتور الدنيا لسه بخير، لا تقلقي سددي براحتك) ولم أنس كل ما فعله لأجل ذلك قمت برد الجميل له وذلك بعد أن أكرمني الله تعالى وأصبح عندي مصيف في مطروح كنت أستضيفه كل سنة وأكرمه مثلما أكرم والدتي ، وكان عادل ابنه صديقي لآخر يوم في عمره وأولاده إلى الآن يتواصلون معي حتى وقتنا هذا ، لأن من زرع الخير يحصده إلى يوم الدين. كذلك هناك أشخاصٌ أثروا تأثيراً سلبياً جداً منهم أخي عادل على أية حال؛ أعودُ بك إلى رحلة كفاحي مع مجموعةِ النَّصر الكشفية وكيف كنت أدبِّرُ قيمةَ الاشتراكِ في معسكراتها ؛فكنتُ أذهبُ إلى محطةِ القِطاراتِ بمدينةِ طنطا أحملُ عن المسافرين حقائبهم مقابل أجرٍ بسيطٍ جداً لكي أدبِّر قيمَةَ الاشتراكِ, وأخذتُ العهدَ على نفسي منذ هذه اللحظة أن أعتمدَ على نفسي ولن أطلبَ مساعدةً مِنْ أحدٍ, وأصبحتُ من أنشطُ الكشَّافين في هذه المجموعة, الأمر الذي دفع الدكتور/ أحمد عابد طنطاوي وكلَّ رؤسائي يُشيدون بجهدي ونشاطي, أذكرُ موقفاً للأستاذ لطفي سمحوط, لن أنساه أبدًا وهو أنني عجزتُ عن تدبير قيمة الاشتراك لأحد المعسكراتِ فلمّا علم بذلك؛ فكّر في وسيلَةٍ ذكيةٍ لكي يصحبني معه لهذا المعسكر فقال: إنَّ مجموعة النصر الكشفية ستنظم مسابقةً لأعضائها, والحائزُ على المركز الأول سيكونُ معنا في المعسكر مجاناً, فكنتُ صاحبَ المركز

الأول وشاركتُ في المعسكر معهم, وظَلَّ الأمرُ هكذا لمدة عامين دون أن يشعُرَ أحدٌ من الأسرة بأنني أحملُ عن الناس حقائبهم في محطة القطار لأجل معسكرات الكشافة, فعلى الرغم من صِغَر سني إلا أنني كنتُ حريصاً جداً على حفظ كرامتي وكرامةِ مَن حولي, وظلَّ الأمرُ سراً حتى بلغتُ من العمرعشرة أعوام.

ابن العاشرة من عمره يبيعُ (الذُّرة المشوي) عند باب الكنيسة...

ها هي مجموعةُ النصرِ الكشفيةِ تُعلنُ عن مُعسكَرٍ دوليٍّ خارجَ مِصْرَ, وعلى مَنْ يريدُ الالتحاق بهذا المعسكر يتَّقدم بتسجيل اسمه مع الالتزام بكافة تكاليف السفر, حاولتُ بكلِّ ما هو ممكنٌ أنْ أسافرَ معهم للمشاركةِ في هذا المعسكر لدرجَةِ أنني وقفتُ أمام كنيسةِ ماري جرجس بطنطا أبيعُ الذُّرة المشوي, فكنتُ أحملُ فوق ظهري جُوال الذرة من قرية اسمها (كفر عصام) إلي طنطا وهذه مسافة لا تقل عن أربعة كيلو مترات, وأظلُّ واقفاً أمام الكنيسة أبيع ما معي من ذرة حتى أنتهي منه ،وكنت أضع (الشواية) عند صديقي العزيز

(سمير رياض) لأنه كان يعيش في بيتٍ بجوار الكنيسةِ, وكنتُ أكررُ هذا الأمرَ يوميًا دون مللٍ أملاً في تحقيقِ هدفي وهو السفر مع الكشَّافةِ للمعسكر الدولي،وكنت اعمل بجريد النخيل واشياء جميله ابيعها للاخوة الاقباط لكنني وبكل أسفٍ لم أستطعْ تدبيرَ المبلغ المطلوب وعجزتُ عن السفرِ, الأمر الذي أثَّر في نفسي بشكل سلبيٍّ جداً لاسيما وأنا أُشاهِدُ مَنْ هُمْ أقلَّ منِّي كفاءةً يسافرون ويشاركون في معسكراتٍ دوليةٍ فقط لأنهم يمتلكونَ المالَ والواسِطَةَ.

لحظةُ انكسارك قد تكون سبب انتصارك...

سافرَ أعضاءُ مجموعةِ النصرِ الكشفيةِ لمعسكرِهِم الدَّوليِّ, وظللتُ مُنكَّسَ الرأسِ مكْسُورَ الخاطِرِ لأنني لم أكنْ واحداً منهم, وأخذتُ أسألُ نفسي ،هل سيتكرر هذا الأمر مرةً أخرى؟ فوجدتُ نفسي أقفُ منتفضاً ولساني يلهجُ قائلاً: لا.. لن يحدُثَ ذلك مرةً ثانيةً , لا بُدَّ أنْ أكونَ متأهباً لأي فرصةٍ أخرى, لا بد أن يكونَ معي المالَ الذي يُساعدني على السفر مع الكشَّافةِ لأي مُعسكرٍ دولي.

خوفو خفرع منكاورع...

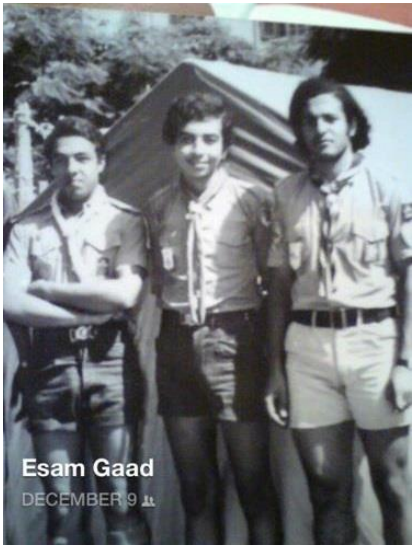

انتظر..هذه ليست الأهرامات الثلاثة المشهورة , هذه ألقاب الثلاثي المغلوبِ على أمْرِه الذين لم يلحقوا بركبِ المسافرين للمعسكر الدولي, عادل محمد لطفي (خوفو) وعصام عبد العظيم جاد (خفرع) وياسر علي الوكيل (منكورع) ثلاثي جمعهم الود والتفاهم والانسجام الدائم , قررنا جميعاً العمل على هدفٍ واحد وهو الاكتفاء الذاتي دون الاعتمادِ على أحدٍ, وذاتَ يومٍ سمعنا عن مزرعةٍ كبيرةٍ للدواجن بالقرب من طنطا يمتلكها مهندس كان وقتها قد نال درجة الدكتوراه من فرنسا؛ فعرضتُ على ياسر الكبير أن نذهبَ للعملِ بهذه المزرعة, وبالفعل ذهبنا إلى هناك وطلبتُ مقابلة المالك فدخلتُ عليه وعرضتُ عليه أن آخذ كميَّةً من الدجاجات وأبيعُها, فسألني عن الكمية المطلوبة فقلت ثلاثين
فقال أين الثمن؟ومن حسن حظي أنه كان رجلا متحضرا وعاشر الأوربيين ؛ فقلتُ أعطيك إياه بعد أن أبيعها ؛ فنظر إليَّ بدهشةٍ

وكأنهُ قد أُعجبَ بهذا البطلِ المناضلِ الذي لا يتعدَّى عُمره ثلاثَةَ عشر سنةً, وأمر لي بثلاثين دجاجةٍ، وقال أعطيتكَ بكلمة شرف, يا لها من كلمةٍ أثَّرت في نفسي كثيراً , لقد جعلتني منذ صغري أحترمُ الوعود والعهود, وبالفعل أخذتُ الثلاثين دجاجة وحملتها على عربة (كارو) ولم يكن معنا حماراً يسحبها فأخذتُ أسحب وياسر يدفع وأخذنا نتبادل الأدوار حتى وصلنا إلى سوق (الجبان) بطنطا وتمت عملية البيع في غضون ساعة واحدة ورجعتُ للتو إلى المزرعة ودفعتُ الثمنَ ووفيتُ بوعدي مع الرجل ، حتى أتى الوقت الذي كان معنا مال نأخذ وندفع من مالنا الخاص؛ فلما رأى مني ذلك أمَرَ أنْ تزيدَ حصَّتنا من الدجاج وأعطانا خمسين دجاجة وتكرّر هذا الأمر يومياً

لا تلتفت لمن يسخر منك ، فهو واحدٌ من اثنين:إمَّا عاجزٌ عن فِعْلِكَ أو قَاصِرَ الفَهْمِ والرُّؤية.

في كلِّ صباحٍ كنا نسمعُ عباراتِ السُّخرية والاستهزاءِ من زملائِنا بالمدرسةِ؛ فلقد أطلقوا علينا اسمَ (عصام الديك) و (ياسر الفرخة) حتى أنهم كانوا يتتبعون أثرنا إلى سوق الجبان ويتهكموا علينا بأصوات الدجاج، ورغم ما كان من هؤلاء

المستهزئين إلا أنهم بمجرد أن يأتي آخر النهار ويرونا مع صديقتين في كازينو البروفاج ونأكل ونشرب أمامهم فكانوا يشتاطون غيظا لأنهم غير قادرين على الدخول وتحمل المصاريف، فهذه السُّخريةَ كانتْ تدفَعُنَا للأمام وتقوِّي عزيمتَنَا حتَّى أصْبَحْنَا مِن أصغَر رجالِ الأَعْمالِ إنْ صَحَّ هذا التعبيرُ في وقتِهِ , فكلُّ واحدٍ من الذَين سخروا منَّا كان يأخُذمصروفَهُ اليوميّ من جيب أبيه أو أمه, لكننا بكل إرادةٍ وعزم حملنا على عاتِقَنَا أعبَاءَ أنفسِنَا, ليس لأننا عدمنا العائلَ والأهْلَ؛ لا على الإطلاق .. فهذا أبيه رمضان كان وقتها يعمل مدرساً مساعداً بالمعهَدِ الفنِّي التجاريِّ بطنطا وهذا أخي عبد الحميد كان يعمل بشركة النحاس المصرية وهذا أخي عادل دكتور بشري وهذا أخي حسن كان وقتها طالبا في كلية الهندسة , فكان بإمكاني أن آوي إلى ركن شديد لكنني لم أركن إلا إلى الله ثم إلى نفسي.

مَنْ يسخر منك اليوم؛ غدا يتمنى أن يكون مثلك..

انقلبتْ الأحداثُ رأساً علي عَقِب, فبعد أنْ كُنَّا منبوذَين يسخرُ منا كلُّ زملائِنا؛ أصبحنا مثالاً يُحتذَى به, وباتَ مَنْ كان يسخرُ منَّا بالأمسِ يطلبُ منا اليوم أن يمارس معنا نشاطَنا وعملَنا.
ومن ذلك الحين أدركتُ أنَّه لن يقفَ بجانبي إلا أنا, ولن تتحققَ أحلامي إلا بالجهدِ والكفاحِ مهما تعقَّدت الأمورُ, مهما استباحتْ

ألسنةُ الآخرينَ بالسُّوءِشخصي وعملي, لن تفْترَ همَّتي ولن تنفلَّ عزيمتي,سأجعلُ من كلماتِهم سُلَّماً أصعَدُ عليه لأحققَ ما أصبُو إليه. هكذا تعلمتُ من الكشَّافةِ التي لعبتْ دوراً رئيسياً في غرسِ هذا المبدأ بداخلي وعلى هذا الطريق أمضي,أذكرُ الآن رحلةً من أهم رحلاتي الكشفية التي شكّلتْ بنسبةٍ كبيرةٍأحلامي وطموحاتي, وكانت رحلةً من طنطا إلى بورسعيد بصحبةِ صديقي/عادل لطفي, وكان الهدفُ من وراء هذه الرحلةِ هو شراء كسوة الصيف من البضائع المستعملة القادمة من أوربا وذلك عام 1969م ولم يكن معي وقتها إلا واحد جنيه مصري فقط لا غير, ولأنني كنتُ أبرزُ الكشَّافين في ذلك الوقت؛ فكنتُ كلما مررتُ بمعسكرٍ للكشافة

يتعرَّفون عليَّ ويستضيفونني في معسكرهم حتى وصلنا إلى بورسعيد ، وهناك تعرَّف عليَّ أفرادُ معسكر الكشافة, وتمتْ استضافتي معهم لمدة خمسة أيام, وكذلك ثلاثة أيام في الإسماعيلية, ومثلهم في السويس, لكَن الموقفَ الذي لن أنساهُ أبداً خلالَ هذه الرحلة؛ هو ما حدثَ معنا أثناءَ عودتنا من السويس إلى القاهرة , حيث قمتُ بالتلويح لإحدى السيارات لأستوقفها ونركب فيها, فوقفَ لنا قائدُ السيارةِ وكان رجلاً تظهر عليه علاماتُ التَّرفِ والنَّزاهةِ والشَّرفِ, فلما وقف لنا بسيارته الفخمة وكانت ماركة (فور باي فور) جلستُ أنا بجواره وجلس صديقي عادل بالخلف, ودار بيني وبينه حديثٌ دارتْ عليه كلُّ أحلامي ..

فقلتُ له: من أي البلاد أنت؟

فقال: أنا من مصر.

فقلت له: ماذا تعمل هنا؟
فقال: أنا مهندس مفرقعات تابع لشركة إنجليزية جاءت لتنظيف قناة السويس من الألغام.
فقلت له: هل تعيش في مصر؟
فقال: لا , أنا أعيش في إنجلترا ومتزوج من إنجليزية, وأعمل في شركة إنجليزية.
فقلت له: كيف هي الحياة في انجلترا؟
فقال: حياة جميلة جدا وهادئة وهناك احترامٌ متبادل والقانون هناك هو سيد كل شيء، كما أنّ المواطن هناك يشعر بكامل الإنسانيِّة التي قلما يجدها في مكان آخر. وانتهى الحوار بيننا, لكن كلامَهُ استوطن عقلي واستباح فكري حتى كأني من شدة إعجابي بما قاله لي عن حياة الإنجليز وددتُ لو أنَّ لي جناحَينِ أطيرُ بهما إلى هناك دون تردد. وأصبح كلُّ هدفي وحُلمي هو السفرُ إلى انجلترا للعملِ هناك وأتزوج من إنجليزية, فهذا الرجل ليس أفضل مني ولستُ أقلَّ منه في شيء.

التخطيط لتحقيق الحُلم..

إنّ النجاحَ في تحقيقِ حُلمِك وهدفِكَ يحتاجُ منك أولاً أنْ تُحدِّدَهُ ولا ترى غيرَهُ ثم بعد ذلك عليك بالتخطيط الصحيح لتحقيقه ورسم خطوطٍ عريضةٍ تمشي عليها لا يثنيك عنها أيُّ شيءٍ مهما كانتْ ولايتُهُ عليكَ ومهما بلغتْ منزلتُهُ منكَ, وأن تمضي في طريقك بعزمٍ ونشاطٍ دون الالتفاتِ للوراءِ, وهذا ما

كان مني تماماً, فعندما رجعتُ من الرحلةِ الكشفية ببورسعيد إلى طنطا إذ بي ألقى التحية والتهنئةَ من إخوتي وأصدقائي فسألتهم ماذا حدث؟ قالوا لقد نجحتَ في الشهادة الإعدادية بجموعٍ عالٍ يؤهلك إلى الثانوي العام, لكنني لم أكترث كثيراً لهذا الامر ، ولم تتملكني تلك الفرحةُ الهيستيريةُ التي ملأتْ وجوهَهُم وقلوبَهُم, لأنني كنتُ قد حدَّدتُ هدفي ورسمتُ لنفسي خطواتي التي سأمضي عليها في تحقيق هذا الهدف, فضربتُ بهذا المجموع العالي عرض الحائطِ وعزمتُ على الالتحاقِ بالثانوي الصناعي ليس هذا فقط ، بل كنتُ أذهبُ إلى ورشةِ خراطةٍ يمتلكها والدُ أحدِ أصدقائي لأتعلمَ منهُ هذه الحرفةَ التي صمَّمْتُ عليها أيضاً في المدرسة الثانوية الصناعية بعد ذلك .

البيتُ مُلبد بالغيوم ويسيطر عليه الترقب و القلق..

ها هي أمي وقد قامتْ ثورتُها عليَّ بسبب قراري هذا وعدم التحاقي بالثانوي العام, وذهبتْ تشكو إيايَ لأخي الأكبر الدكتور/ رمضان جاد ،الكلُّ في حَيرةٍ من أمري, الكلُّ يتهمني بالجنون وعدم المبالاة, ما هذا الفتى الطائش الذي يتصرف بطيش وجنون؟؟!وها هو أبيه رمضان يناديني وكلُّهُ فُضُولٌ وتعجبٌ من أمري...تعالى يا عصام.. لماذا فعلتَ ذلك؟

عصام: هذه حياتي وهذا مستقبلي أُحَدِّدهُما بالشكلِ الذي أُحبه.

ثم بادرتُهُ بسؤالٍ : هل تدخَّل أحدٌ في حياتك عندما التحقتَ بكلية التجارة واخترت أن تعملَ بها مُعيداً؟
أبيه رمضان: وما هو هدفك الذي تسعى إليه في الثانوي الصناعي؟
عصام: التحقتُ بالثانوي الصناعي لكي أقصِّرَ على نفسي المسافة التي بيني وبين حُلمي.
أبيه رمضان: وما هو حُلمك؟؟
عصام: أحلم أنْ أسافرَ إلى إنجلترا لأعملَ بها وأتزوجَ إنجليزيةً وأعيشَ هناك.
أبيه رمضان: ولماذا إنجلترا؟؟
عصام: لأنه مجتمعٌ جميلٌ وراقٍ وأريدُ أنْ أكونَ واحداً منه.
أبيه رمضان: وهل تضمنُ تحقيق ذلك؟
عصام: طبعاً, لأنني منذ صغري وأنا أستطيع تحقيق أحلامي.
ولما ييأسَ مني أخذ ينصحُني ويقول : إنَّ الحياةَ لا تؤخذ بهذا الأُسلوب ولا بهذه الطريقة, كان بإمكانِكَ أن تلتحقَ بالثانوي العام وتلتحقَ بكلية الطب أو الهندسة ومن ثَمَّ تُحققُ حُلمَكَ وتسافرُ إلى إنجلترا طبيباً أو مهندساً وتتزوج إنجليزية أيضاً .
فقلتُ له : هذا أمرٌ يطول وقتُه ولا أريدُ الانتظارَ كلَّ هذا الوقت.
فلما رأى تصميمي وعزيمتي التي لا تنفلُّ أبدا قال لي: أنت حرٌ في حياتك. وهكذا أثّرَ الدكتور/ رمضان جاد في شخص أخيه الأصغر/ عصام جاد بالشكل الإيجابي وذلك من خلال هذا الأسلوب الراقي والمحترم الذي دائما ما كان يتعامل معي به, بل ومع كل أفراد الأسرة, وسيتضح ذلك أكثر وأكثر في قادم المشاهد من فصول هذه الرواية، إن شاء الله. وفي أثناء دراستي

في الثانوي الصناعي أصبحتُ بارعاً أكثر في مجال الكشافة وأصبحت من أشهر الكشافة على مستوى الجمهورية, وظللتُ أتنقَّلُ مع الكشافة من معسكر لآخر طُفتُ معهم كل أنحاء مصر, واكتسبتُ خبراتٍ كثيرة وازدادت ثقتي في نفسي وازدادت قدرتي في الاعتماد على النفس والتصميم والإرادة, ما تركتُ من معسكر للكشافة إلا واشتركتُ به وساهمتُ في نجاحه وتحقيق أهداف الكشافة على ما يرام.

المشهدُ يتكرَّرُ من جديد..

ها أنا ذا قد انتهيتُ من امتحانات الصفِّ الثالثِ الثانوي الصناعي, وأنتظرُ ظهورَ نتيجةِ الامتحان لكي أنتقلَ إلى المرحلةِ الثانيةِ من مراحلِ تحقيقِ هدفي, لكنني وبكل أسفٍ اجتزتُ الامتحانات بتفوقٍ وبمجموعٍ عالٍ يؤهلني إلى الالتحاقِ بالمعهد العالي للتكنولوجيا والمعلومات بحلوان, لكنني من جديدٍ أرفض هذا الأمر وبشدة, مما جعلني من جديدٍ في نقاشٍ حول مستقبلي لكنني في هذه المرة أقف أمام أخي المهندس عبد الحميد ؛ لنتناقش في شأن هذا المعهد الذي يتمنى الالتحاق به الكثيرون من الطلاب, فهو يراه فرصةً لا تُعوّض ويجب علىَّ أنْ أتمسك بها, وها هو يحاول أن يقرأ أفكاري من جديد, يريد أن يقفَ على مواطن ضعفي ليستردني إليه ؛ فقد كنت له بمثابة الابن العنيد الضّال الذي لا يُثنيه عن هدفه شيء مثله مثل الدكتور رمضان, لكنه في هذه المرة أيضاً يعجز عن إقناعي؛ لأنني كنت دائما

أغرد وحدي خارج نطاق السرب, فها أنا ذا أقدِّم أوراق اعتمادي للمعهد وقبلني مكتب التنسيق ورشحني أن أكون في قسم التكنولوجيا ،لكنني لم أكمل الطريق للنهاية في هذا المعهد؛ فاقترح عليَّ أخي عبد الحميد أن أتقدم بأوراقي للأكاديمية البحرية التجارية, وأَبْدَى استعدادًا تامًا أن يساعدني في مصروفاتي الدراسية إنْ التحقت بهذه الأكاديمية, فوافقتُ على الفور ليس لأنه سيساعدني في المصروفات الدراسية لا.. فأنا لم أعتد على المساعدة من أحد حتى من إخوتي, إنما الذي دفعني لقبول هذا الاقتراح من أخي عبد الحميد هو أملي في رحلة سفرٍ تكونُ على نفقةِ الأكاديمية وتكون هذه الرحلة لأي بلد أوروبي , فأسافر مع بعثة الكلية ولا رجعة مرة أخرى, وحبَّذا أن تكون الرحلة إلى بلاد الإنجليز، هذا ما كان يدور بخاطري؛ وعليه تقدمت بأوراقي للأكاديمية وكنت خامس خمسةٍ تقدموا بأوراقهم لنيل شرفِ الالتحاقِ بهذه الكلية, و قمنا بإجراء الاختبارات البدنية والنفسية, واجتزتُ كل الاختبارات الصعبة والمستحيلة ورغم ذلك لم يقبلوني لديهم وتم قبول من لا يملكون نصفَ قدراتي وذلك عن طريق الواسطة والمحسوبية, فتملكني الغضب وثرتُ وقمتُ بتكسير زجاج الأكاديمية ولذْتُ بالفرار انا واصدقائي الذين لم يقبلو, لكنني لم أقف عند هذا الأمر كثيراً, لم أجلسْ وحدي أندبُ حظي كما هو شائع بين كثيرٍ من الشباب في هذا الوقت من الزمان, بل أخذتُ أجدد الأمل بداخلي وأرفع من عزيمتي وإصراري وبدأتُ أرتبُ أفكاري من جديد.

فكر خارج الصندوق..

إنَّ الطَّامح لهدفٍ ما؛ لا بد أن يفكرَ بأسلوبٍ مختلفٍ عن الآخرين, وإن شِئتَ قل: لا بُدَّ أن يكونَ تفكيره مناسباً لهدفه, وأنا دائماً ما كنت أحْلُم بالسفر إلى إنجلترا لأعملَ ما أحبُّ وأتزوج إنجليزية, لأجل ذلك كان تفكيري مختلفاً عن أقراني وأترابي, كنتُ دائما أفكرُ خارج الصندوق, وربما كانت أفكاري تصطدمُ بأفكار المقربين مني ، أمثال أمي وكل من أخي عبد الحميد وأخي عادل ، إلا أنني كنت أنجح في إقناعهما بلطف وأدب مستعيناًبعزيمتي وإصراري اللذين لا يبرحان طريقي ودربي أبداً, لأجل ذلك؛ كن حريصا على أن يكون تفكيرك وتخطيطك ملائمين لهدفك, ولتكن وسادتُك مجرد ركنٍ ترى فيه ما تحلم به, ولكن في المقابل سخِّر عقلك وجوارحَك في إنجاز هذا الهدف.

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ
وتأتي على قدرِ الكرامِ المَكارمُ
وتعظمُ في عينِ الصغيرِ صِغَارُها
وتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ

هذان البيتان للمتنبي, لطالما كنتُ أرددهما ولا سيما في لحظات الضعف التي كانت تنتابني بين الحين والآخر فأتغلَّب على ضعفي وأقهر الصِّعابَ والظروف, وأخاطبُ بهما نفسي وظلي قائلاً: سيمرُّ كلُّ مرٍّ وسيأتي الأمر الذي يَسُرّ، كنتُ أنظرُ إلى هذه الأم (

الحاجة نجية) التي تركها زوجها وترك لها ثمانية أولاد دون إرثٍ يعتمدون عليه ، كيف استطاعت أن تقهر الظروف الصعبة التي تحيط بأبنائها من كل جانب ؟ حالها كسفينة ضعيفةٍ في وسط أمواج عاليةٍ ،كيف استطاعتْ أن تنجوا بأبنائها إلى برِّ الأمان ويصبح عندها الدكتور الجامعي والدكتور البشري والمهندس ؟ كل هذا كان يدفعني للأمام ويزيد من حرصي على حُلمي والتَّمسكَ به، فالعاقل الطامح هو الذي يأخذ من غيره ما يعينه على تحقيق أحلامه وأهدافه ويجعله نموزجاً ماثلاً أمام عينه.

بعض الضربات
التي لا تميتك، تقوِّيك..

ها أنا ذا عائدٌ من الإسكندرية أجرُّ خلفي ويلاتَ خسارتي الأولى في تحقيق شيءٍ أردته وأمَّلتُه وهو الالتحاق بالأكاديمية البحرية التجارية, لكنني لم أقفْ عند هذا الأمر طويلا, فبمجرد وصولي إلى طنطا علمتُ أنَّ زملائي قد جاءتهم خطابات الاستدعاء للجيش؛ فذهبتُ معهم دون أنْ يخاطبني الجيش بشيء, ووقفتُ معهم في الطابور وكنتُ مميزاً عنهم جدا في هيئتي وطريقة لباسي من بنطلون شارلستون وبدي مجسم وتسريحة شعري الذي كان يتدلى على كتفي, ولما حانتْ لحظةُ وُقُوفي أمام (الصول) دار بيننا حوار لن أنساه أبدا..

الصول: أين الخطاب المرسل إليك؟
أنا: لم يصلني خطاب.
الصول: ولما أتيت؟
أنا: لأن ميعاد تقديمي للجيش مع زملائي.
الصول: ارجع لبيتك وعندما يأتيك خطابنا فتعالى.
أنا: أقسم برحمة الشيخ (عبد العظيم) إن لم تدخلني الجيش مع زملائي لأجعلن منك عبرة لكل الحاضرين.
الصول: في غضب شديد, أنت ستجعلني عبرة لمن حولي؟؟!
أنا: قلت لك ورحمة الشيخ (عبد العظيم) أبويا لا بد أن أدخل مع زملائي.
فقام من فوره وأمسك بيدي وقال بنبرة بها وعيد (تعالى) وحينها قرأت ما يدور برأسه وقد كان, فقد ذهب بي إلى (حلاق الوحدة) ليحلق لي شعري الطويل.
لكنني كنت ذكيا جدا فقلت له: قبل أن تذهب بي إلى أي مكانٍ, سجل اسمي في الدفاتر أولا!! فقام بتسجيلي وأخذني بنفسه إلى الحلاق ولم يكن معي وقتها إلا خمسة قروش فقط, فأعطتهم للحلاق وقلت له (أريد منك أن تحلق شعري زيرو) فتعجب مني الصول كثيرا وقال لي بصوت تنبعث منه ثورة الضيق والضجر قائلاً: أنت بارد جدا)

في صحراء دهشور..

حيث شدَّةِ الحرارةِ نهاراً و بُرودَة الجو ليلاً, ومَبيتٌ للجنود في العراء مع الجرذان والثعابين, الأمر الذي أبكى الكثيرين من زملائِنا الجنود من شدة الخوفِ, حيث كان الواحدُ منهم يفزع ويصيبُه الهلعُ لمجرد رؤيَةِ فأر أو ثعبان صغير, بل كان لا يستطيع النومَ من شدة قلقه وخوفه من كثرةِ الهَوَام التي تملأ المكان, أمَّا أنا فقد كنتُ متعوِّداً على مثل هذا الوضَع وأكثر ، وذلك بسبب الحياة الكشفية التي مارستها منذ طفولتي ونشأتُ عليها حتى التحقتُ بالجيش المصري, وكانت كلها معسكراتٍ في العراء نقوم بحراسة المنشآت وفوق كل ذلك يعتمد كل فرد من أفراد المعسكر على نفسه, ولقد ساعدني ذلك على تجاوز الكثير والكثير من الصعاب والأزمات التي مرَّتْ علينا في وسط هذه الصحراء.

الإنسان الحر لا يقبل الإهانة أبدا..

كان من حُسنِ حظي أنني كنتُ أول دفعةٍ في الجيش المصري على الإطلَاق من حملةِ المؤهلاتِ المتوسطةِ (دبلوم صناعي) نتدربُ على قيادة السيارات, لكنَّ المؤسفَ في ذلك هو سوء المعاملة أثناء التدريب, فكان المدرب يسب الجنديَّالمتدربَ ويتعدى عليه بالضرب, وكنت أُشَاهِدُ هذا أمام عيني قبل أن

أشرعَ في التدريب, ولما حانت لحظة تدريبي وركبتُ السيارةَ وركب بجواري المدربُ وبالفعل قمتُ بتشغيل محرِّك السيارة وتحركتْ بِنا وفجأة توقفتْ مني دون إرادتي؛ فلطمني المدربُ لطمةً قويةً على وجهي لم أشعُرْ بنفسي إلا وأنا أضربهُ بكلِّ ما أوتيتُ من قوةٍ حتى سالتْ الدماءُ من فَمِهِ وأنْفِهِ لولا تدخلُ الجنودِ في الوقت المناسبِ وأنقذوهُ منِّي ؛ لتأزَّمَ الموقفُ أكثر من ذلك بكثير، وتم تحويلي إلى مكتب قائدِ الكتيبةِ وكان منفعلاً جداً, وأخذ يسألني.. لم ضربتَهُ؟ فقلتُ له: هذه هي أول مرة أركب سيارة ، وليستْ عِندي الخبرةُ لقيادةِ السيَّاراتِ وبمجرد أن توقفتْ السيارةُ منِّي دون قصدٍ صفعني على وجهي, وأنا لا أقبلُ الإهانةَ لشخصي أبداً؛ فاعتذرَ القائدُ لي ، وتأسَّفَ لجميع الجنود عمَّا بدر من الصُّول القائم على التدريب ، و أصدر قرارا يمنع فيه التعرض بأي شكل فيه إهانة للجنودالمتدربين على الإطلاق، وتعلمتُ القيادة وبعد ذلك تم ترحيلي إلى مركز الدفاع الجوي بالقاهرة, وهناك تعرفت على الفنان محمد خيري؛ فقد كان وقتهاقائداً عسكرياً لهذا المكان الذي خدمتُ فيه وطني عاماً ونصف, ولقد تعلمتُ من القائد والفنان محمد خيري الأشياءَ الكثيرة التي كان لها تأثيراً إيجابياً في حياتي المدنيّة فيما بعد حيث كنت السائق الخاص به، الأمر الذي أعطاني الفرصَةَ أنْ أكون قريباً منه دائماً ومرافقاً له في كل تحركاته ورحلاته وكان يتعاملُ معي بأسلوب راقٍ جداً ليست معاملة قائدَ لوحدةٍ عسكريةٍ كبيرةٍ لمجندٍ صغيرٍ تحت إمرته, أذكر أنه في يوم أعطاني إجازة لمدة واحد وعشرين يوما على سبيل المحبة والتقدير ,فانتهزت هذه الفرصة وقلتُ أمارسُ هوايتي المفضلة

وهي السفر مع الأصدقاء فسافرتُ في رحلة إلى الإسكندرية مع أصحابي وكانت رحلة سعيدة للغاية مما جعلني أتخلفُ عن موعد رجوعي إلى الوحدة العسكرية أكثر من خمسة وعشرين يوما, وكنت على وشك الانتهاء من الخدمة العسكرية ولما انقضتْ رحلتي ذهبتُ إلى الوحدة لعملِ إخلاءِ طرف وتسليم المِخلة الخاصة بي, إلا أنني اصطدمتُ بالقرار المأخوذ ضدي وهو أنني مطلوب لمحاكمة عسكرية بتهمة التهرب من الوحدة العسكرية لمدة واحد وعشرين يوما, وبدلاً من أن أحصلَ على خمسين جنيها قيمة نهاية الخدمة إذ بي أصطدم بهذا الحكم, فما كان مني إلا أن توجهت إلى صول الكتيبة وقلتُ له : سوف أفتقدك كثيرا!! أين مكافئة نهاية الخدمة؟ فقال لي أنت محبوس يا عسكري ؛ لأنك تخلّفت عن الحضور لمدة واحدٍ وعشرين يوما, فقلت له اعتبرني أخذت المكافأة وهذا توقيعي, فأخذ هو مبلغ الخمسين جنيها وكان هذا المبلغ حينها كبير للغاية لكنني ضحيت به ونجوت أنا من السجن وأنهيتُ كل ما يخصني بالوحدة ومرَّ الموقفُ بسلام.

انتهت بسلام مدة خدمتي بالجيش المصري, تعلمتُ فيها أشياءً كثيرةً, ساعدتني تلك الفترة على أنْ أكون أكثر تحملاً وأشد صلابة أمام الظروف القاسية, كما أنها زادتني خبرةً ووعياً أكثر في حلِّ الأزمات بكل حكمةٍ ورشادٍ.

وهكذا يكون الإنسان الناجح

لابد أن يأخذَ من كل مرحلةٍ من مراحل عمره دروساً وعِبَر؛ ليجعلها بعد ذلك مرجعاً من مراجع خبراته ليعودَ إليها كلما ألمَّ به خطْبٌ أو أحاطتْ به الأخطارُ, فالإنسان في مرحلة الطفولة ربما لا يعبَأُ بشيء ولا يأبهُ بما هو قادم, لكنه يمتلكُ عيناً تميز الأشياءَ وتحفظ في ذاكرته صوراً وأحداثاً ومواقفاً للآخرين ولاسيَّما مَنْ هم أكبرُ منه سِنًّا, كل هذه الأحداث والمواقف تساعده على تخطي هذه المرحلة في سنٍ مبكرةٍ, وهذا هو الفارق بين طفلٍ وطفلٍ أخر يعيشان في نفس الظروف والبيئة وعدَّادُ عمرهما يجري بنفس السرعة؛ إلا أنَّ أحدهما كانت له عينٌ ناقدةٌ تصوّرُ الأحداث من حولة بدقة وعنايةٍ فيستفيد كثيراً من ذلك, فأحياناً تجد طفلاً لا يتعدى عمره العشرةَ أعوام إلا أنه يمتلك عقلية شابٍ في العشرين من عمره, وهكذا في كل مراحل حياته بين طفولةٍ وصبىً وشبابٍ ورجولةٍ وكهولةٍ، وأحياناً أخرى تجدُ شاباً فتيّاً يعيش بعقلية طفلٍ لا يتعدى عمره العشرة أعوام ، وقد يصبح كهلاً وشيخاً ولكنه لا يزال يفكر بعقلية مراهق أحمق.

استراحة المقاتل..

رجعتُ إلى بيتي في طنطا أحملُ على كاهلي أعباء تحقيق هذا الحُلم الذي يراودني منذ سنين, ها أنا ذا اختصرتُ الطريق إليه ودرستُ في الثانوي الصناعي بدلاً من الثانوي العام وحصلتُ على دبلوم صناعي قسم خراطة تيمُّناً بمهندس المفرقعات الذي قابلته في السويس, وها أنا ذا قضَّيتُ بسلام خدمتي بالجيش وكانت عاماً ونصف العام , لا يبقى أمامي الآن إلا السفر إلى إنجلترا, جلستُ في البيت أسبوعاً كاملاً لا أخرج منه ، أخطط وأرتب لهذه الخطوة الفارقة في حياتي, وفي هذا التوقيت كان أخي الأكبر الدكتور/ رمضان جاد في إنجلترا لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة برمنجهام, فذهبتُ إلى القنصلية الإنجليزية في شارع رشدي بالإسكندرية لأعرفَ شروطَ السفر إلى إنجلترا وهل بإمكاني السفر أم لا؟؟ فسألني المختصُّ بالقنصلية عن سبب سفري, فقلتُ له لمقابلة أخي الدكتور رمضان في جامعة برمنجهام, فقال سنراسل أخاك إن كان بإمكانه دعوتك أم لا, فقلتُ له: ولماذا يرفض؟ فقال: لأن الدعوة والاستضافة لها شروط وقوانين, وعلى رأسها؛ أن يكون لديه غرفة تقيم بها ويكون لديه المال الكافي للقيام برعايتك والأهم من ذلك كله أن يضمن لنا رجوعك من هناك مرة أخرى بعد انقضاء مدة الدعوة,

ويوقع على ذلك, لكنني اعتبرتُ كلامه هو والعدم سواء فلم أعبأ به, وأخذتُ أفكر في حيلةٍ أخرى لا يهدأ عقلي ولا يكفُّ عن

التفكير وأثناء هذا الإعصار من الفكر الذي يجتاح عقلي إذ بي أجدُ ضمن أوراقي (كارنيه) جوالة دولي كنتُ قد حصلتُ عليه أثناء رحلاتي الكشفية, فانفتحت أمام عيني نافذةٌ أخرى من الأمل, فقررتُ أنْ أسافر إلى بلدٍ عربي لا تشترط وجود (فيزا) ومنها أسافر على انجلترا, ووقع اختياري على الأردن وبالفعل قمتُ بحجز تذكرة إلى عمان على أن يكون السفر بعد خمسة أيام من تاريخ الحجز.

لا تكنْ أنانياً..

إنَّ الإنسان الناجح يتحلَّى دائماً بحبِّ الآخرين ويتمتع أيضاً بحبهم له, كما أنّه لثقته الكبيرة في قدراته لا يقلق من أحدٍ ولا يكره نجاح غيره فنجاح الآخرين لا ينقص من نجاحي ولا من أرزاقهم ولا من رزقي،بل يكون دائماً سبباً في دعمه ونجاحاته وبالتالي يكون الجزاء من جنس العمل فيجد أن اللهَ تعالى بجانبه دائماً ويجد التوفيق محالفاً له على طول الطريق, وهذا ما كان مني تجاه صديقي (محمد سيف) فقبل السفر إلى الأردن بيومين قابلني صديقي هذا ولما علم أنني مسافرٌ قال لي أريد أن أسافر معك!! فقلتُ له ولم لا؟ قال لكن أبي قد يعارض,فذهبتُ معه إلى والده وطلبتُ منه الموافقة على سفر محمد معي, كان الرجل في البداية قلقاً على ابنه لكنني عالجتُ هذه المشكلة بوعدٍ قطعته على نفسي أمامه, فقلتُ له: لك عليَّ أمامَ الله أن أكون دائم الحرص عليه؛ فلن آكل طعاماً حتى يأكل هو أولاً, ولن أعملَ في

مكانٍ حتى يعمل هو أوَّلاً, فرأيتُ الرجلَ قد اطمئن وابتهج قائلا لي: أنا موافق فقط لأنني أثق فيك يا عصام, وأعلم أنك رجلا تتحلى بكل صفات الرجولة والإخلاص, وعلى الفور؛ ذهبتُ به إلى جمعية النصر الكشفية واستخرجتُ له (كارنيه) جَوَّالة دولي مثلي تماماً, وكان لهذا (الكارنيه) أهمية كبيرة حيث كان يُتيح لحامله أنْ يقيمَ في (المنازل المُعَدّةِ خصيصاً للشباب المسافر من دولةٍ لدولةٍ أخرى) وذلك بأجرٍ رمزي, وتمت الرحلةُ إلى الأردن بنجاح ومن المطار ذهبنا إلىً مكانٍ يسمى (جبلِ اللوبدة) حيث المسكن المعدُّ للشباب المغترب, وكانَت هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أرى ديسكو ومرقص وأختلط فيه بالجنس الآخر في مكان واحد من كل الجنسيات حيث الرقص والأحضان لكنني للأسف لم أكن أعرف أي لغة أخرى غير العربية, فكنت أتعامل معهم بالإشارة وكان الأمر داعيا للمرح والطرفة كثيرا.

الوفاء بالوعد..

إنَّ من أهمِّ أسباب نجاحِكَ؛ أنْ تتحلى دائماً بصفة الوفاء بالعهد, وأن تطبق هذا مع نفسكَ أولاً قبل أي أحد, فإنْ كنتَ صادقاً مع نفسكَ؛ بالتأكيد ستكون صادقاً واضحاً مع غيرك من أصدقاءٍ ورؤساءٍ في العمل, ومن ثمَّ ستحظى بكل تأكيد على محبة الآخرين, لأجل ذلك كنتُ مُطالَباً بأن أَفي بعهدي ووعدي لوالد صديقي محمد سيف الذي سمح لابنه بالسفر معي إلى الأردن لأنني وعدته أنْ أقدمهُ على نفسي في كل شيء, وها أنا ذا أبحثُ لمحمد عن عملٍ مناسبٍ له وظلَّ البحثُ مستمراً مدة لا تقل عن ثلاثة أيام, كل هذه المدة وأنا شغلي الشاغل هو إيجاد فرصة عملٍ مناسبةٍ لصديقي محمد, وبفضل الله تعالى وجدتُ له عملاً مناسباً في (كافتيريا) في جبل اللوبدة, واتفقتُ مع المالك على أن يكون مأكله ومشربه ونومه في الكافتيريا فوافق على هذا وكنتُ في غاية السعادة لأنني وفَّيتُ بوعدي معه والتزمتُ بكل حرفٍ تعاهدتُ به أمام الله لوالده الفاضل

مَنْ كانَ في عون أخيه كان اللّه في عونه

هكذا كنت أسمعُ من والدتي الحاجة (نجية) وكذلك من أخي الدكتور (رمضان جاد) وكذلك أخي المهندس (عبد الحميد جاد) الذي لعب دوراً كبيراً جداً في حياة إخوته بجانب الدكتور رمضان ، وأحبُّ أن تتزين قصتي بالحديث عنه ولو لبضعة كلمات لأنه كان سنداً لنا في مرحلة طفولتنا وحمل على عاتقة مسؤوليتنا بمجرد أن حصل على الدبلوم في التعليم الفني وعمل في شركة النحاس المصرية ، ثم بعد ذلك قرر أن يلتحق بكلية التجارة وحصل على شهادة البكالريوس وأصبحتْ له فيما بعد مكانة اجتماعية كبيرة نفخر بها جميعاً إلى يومنا هذا. على أية حال؛ قدكنتُ شديد الحرص على تطبيق هذه الكلمة مع كلِّ الناس تطبيقاً عملياً، وكذلك كنتُ دائماً ما أجدُ ثمرتها تتحقق أمامي, فبعد أنْ ساعدتُ صديقي محمد سيف وكنتُ سبباً في إيجاد عملٍ مناسبٍ له في مكانٍ محترمٍ, أخذتُ أبحثُ لنفسي عن عملٍ أساعدُ به نفسي على العيش في هذه الغربة, وبحمد الله تعالى، لم يمض عليَّ أربعةٌ وعشرون ساعةٍ وقد أكرمني الله تعالى بعملٍ في فندق كبير جداً من أكبر الفنادق الموجودة بالأردن على وجه العموم وكان اسمه (جناح فراس) وفراس هذا كان طياراً في الجيش الأردني, وهكذا وجدتُ ثمرة مساعدتي لصديقي (محمد سيف) ولا سيما حينما عرضتُ نفسي للعمل في هذا الفندق فكان أول واحدٍ قابلته هناك رجل تظهرُ عليه علاماتُ العزة والكرامة

وكأنَّهُ يُدير مؤسسةٍ عسكريةٍ وليس فندقاً, فسألتهُ عن فرصةِ عملٍ بالفندق!!
فسألني وماذا تستطيع أن تعمله في الفندق؟
فقلتُ لهُ: أنا أعمل(جرسون)
فقال: هل سبق لك العمل في مكانٍ سابقٍ؟
قلتُ: نعم, في الإسكندرية.وعلى الفور؛ نادى على أحد العاملين بالفندق وقال له: (اختبر قدراته وخبراته) وكان هذا العامل سورياً درزيَّاً, فلما كلَّفهُ بهذه المهمة وانصرف ،أخذتُ أسألُ هذا العامل عن هذا الرجل فقال: إنه السيد(أبو أحمد) شقيق الطيار فراس ووزير الدفاع الوطني للجيش الأردني.
ولمَّادخلتُ مع هذا الرجل المطعم الخاص بالفندق ليختبرقدراتي وخبراتي, رأيتُ مطعما فخما وبه إمكانيات عالية جدا لم أرَ مثلها من قبل, وقد لاحظ الرجلُ علامات الانبهار والإعجاب على وجهي فبادرني بسؤالٍ هل رأيتَ هذه الإمكانيات من قبل؟ فقلتُ له: لا. فقال هل سبق لك أنْ عملتَ (جرسوناً) من قبل؟؟ فقلتُ له: لا. وهنا أجدُ أمام عيني ثمرة مساعدتي لصديقي (محمد سيف) فكنتُ أتوقع أن الرجل سيبلغ إدارة الفندق بأنني لا أملك الخبرات التي تؤهلني للعمل بالفندق, لكنه فاجأني بكلمات رقراقة حانيةٍ أثلجت صدري وطمأنت فؤادي, وقال: لا تقلق فالأمر ليس بالصعب ولا المُعضل, كل ما عليك فعله أن تنظر إليَّ وترى ما أقوم به لتتعلم مني كيف تكون جرسونا ناجحاً, وبالفعل أخذتُ أنظرُ إليه وأقلده في كل حركاته وسكناته يوماً بعد يوم حتى أصبحتُ في ظرف ثلاثة أيام فقط جرسونا ماهراً جداً يُعتمد عليه فيفندق بهذا القدر من الرُّقي , وعملتُ بالفندق مساعد جرسون

مقابل ثلاثين ديناراً في الشهر, وكانت إقامتي في فيلا الشباب بجوار الفندق مجانا وكذلك الطعام والشراب, وفي كل يوم كنت أُظهِرُ كفاءةً في عملي أكثر من اليوم الذي قبله, الأمر الذي جعل رؤسائي في العمل يجعلون لي حصةً فيما يسمى (بقشيشاً أو تبساً) فكنتُ أحصل على نقطتين والجرسون على خمسة نقاط

كُنْ دائماً الرجل الأول لا تكنْ ظِلّاً لغيرك..

منذُ نعومة أظفاري وأنا لا أرضى أن أكون ظلاً لغيري, دائماً أحبُ أن أكون الرجل الأول , وحتى أكون كذلك فأنا لم أكتفِ بأن أكون مجرد ظلٍّ لهذا الرجل الذي علمني كيف أكون جرسونا ماهراً, لكنني أخذتُ أعملُ على نفسي أكثر وأجتهد في هذا المجال كثيرا حتى في فترات الراحة الخاصة بي, وأخذتُ أتعرف على كل العاملين بالفندق والمطعم حتى ازدادت شبكة علاقاتي ومعارفي وأصدقائي وكانت من كل الجنسيات خاصة ، اللبنانيين والسوريين وتمتعتُ بمحبة كبيرة منهم, وتعلمت من اللبنانيين طرق الطهي والأكلات اللبنانية الجميلة, وأصبحتُ من أشهر العاملين بالفندق الأمر الذي جعل الإدارة بعد ثلاثة أشهر فقط من تواجدي بالفندق أن أتولى مسؤوليةَ خدمةَ الغرفِ بجانب عملي الأساسي وهو مساعد جرسون ، وكان هذا الأمر مهمًّا جدا بالنسبة لي معنويا وماديا؛ فكون الإدارة تكلفني بهذا الأمر في ظرف ثلاثة أشهر فقط فهذا دليلٌ على الثقة الكبيرة في كفاءتي,

وكذلك أضاف لي هذا العمل الجديد إضافة مادية كبيرة حيث (البقشيش) الذي كنتُ أتحصَّل عليه من النزلاء حيث كان معظمهم من الطيارين والمضيفين والمضيفات, فكنتُ أحصِّل الفواتير من النزلاء الأمريكان أو الأوربيين بالدولار وأحولها للفندق بعملة الأردن (الدولار الواحد بثلاثين فلساً) وكنت أبيعُ الدولار خارج الفندق بثلاثة وثلاثين فِلساً, وظللتُ على هذا الحال خمسة أشهر حتى أصبحتُ الجرسون الأول للمطعم؛ هكذا تعودتُ أن أكون دائماً الرجل الأول.

الجانب العاطفي
في حياة عصام جاد

إنه لمن الطبيعي جداً أنْ يكونَ لديك بعض الميول العاطفي تجاه امرأةٍ ما, بسبب شكلها وسمات خِلقتها, بسبب دينها وخُلقِها, قد يكون بسبب أصلها ونسبها, فإذا توفّرتْ كل هذه الصفات في شخص إنسانةٍ واحدةٍ؛ فقد يتحول هذا الميول إلى استيطان واحتلالٍ للقلب من قِبَلِ هذه المرأة, لاسيِّما وأنها بجانب كل هذه الصفات كانت تتحلى بأجملِ صفةٍ أحبها في نفسي بل وأحبها في كل مَنْ يتحلَّى بها ألا وهي؛ الاعتزاز الشديد بالنفس،

وذلك من خلال الكفاح والاعتماد على الذات، هكذا كانت الإنسانة الأولى في حياتي التي أَسَرَتْ عليَّ فكري وعقلي وملكتْ شغاف قلبي لقربها الشديد مني حُبَّاً وعاطفة وكذلك نسباً وقرابةً فهي ابنة العمِّ التي تقدَّمتُ لخِطبتِهَا قبل السفر إلى الأردن وتمّتْ الخِطبةُ بيني وبينها في جوٍّ يملأه الودُّ والسرورُ والجميعُ بارك لنا وهنَّأنا, وتبادلتُ أنا وهي أرقَّ المشاعر وكأننا في حُلم جميلٍ لا نريد الاستفاقة منه أبداً لكننا وبكلِّ أسفٍ استفقنا منه علَى حين غِرَّةٍعلى فِراقٍ وشتاتٍ ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ على حُلمي الجميل معهافما هما إلا عامين وبضعة أشهر فقط هي مدة خِطبتنا, ومعظم هذه الفترة كنتُ في الأردن وهي بمصر, كانت تتلاقى أرواحنا رغم كل هذه المسافات, كانت قلوبنا على مسافةٍ قريبة جداً, حالنا كحال القائل

لا تحسبوا بُعدَكُم عنَّا يُغيِّرُنَا ... إنْ طالما غيَّر البُعدُ المُحبِّينا.

والله ما طلبتْ أهواؤنا بدلاً منكم ... ولا انصرفتْ عنكم أمانينا.

الحُلمُ الجميلُ يتحوَّلُ إلى كابوسٍ مُفزع..

ذات يومٍ وأنا أعملُ في فندق جناح فراس بالأردن يأتيني خطاب من مصر وبالتحديد من أخي عادل يقول فيه" أنَّ القنصلية الانجليزية وافقتْ على سفري إلى انجلترا وذلك بعد موافقة الدكتور رمضان؛ فكاد قلبي يطير فرحا لهذا الخبر ، وعلى الفور توجهتُ إلى إدارة الفندق لأقدمَ لهم شكري

واعترافي بفضلهم مصحوباً باستقالتي التي أحزنتْ السيد (أبو أحمد) وزير الدفاع الأردني والمالك لهذا الفندق الأمر الذي دفعهُ أن يعرضَ عليَّ أنْ أظلَّ في عملي بالفندق مقابل امتيازاتٍ كبيرةٍ أحصل عليها مقابل استمراري في العمل ومنها؛ توفير مسكن خاص بي أمتلكه وأتزوج فيه خطيبتي ( ),وكذلك توفير وظيفة مناسبة لها بالفندق, لكن كل محاولاته معي باءت بالفشل لأن كل هذه الإغراءات لم تكن أبدا تعدل مثقال ذرة من حُلمي وهدفي الرئيسي وهو السفر إلى انجلترا وتحقيق ذاتي في مجتمع الإنجليز, فقَبِلَ الرَّجلُ استقالتي على وعدٍ وعدته إيَّاه وهو؛ إن لم أوَفَّق في انجلترا أعودُ إليه مرةً أخرى, وأنهيتُ كلَّ إجراءات السفر إلى مصر لأبدأ الخطوة الأولى من حُلمي, وعدتُ إلى مصر وكانت أولى خطواتي على أرضها كنت في طريقي إلى بيت حبيبتي وخطيبتي فلطالما اشتاق القلبُ إليها وسهرتْ العينُ أملاً في رؤيتها وكنتُ أثق أنها تبادلني نفس الأحاسيس, لكنني ولأول لحظة لي في بيتها شعرتُ بتغّيُّر كبير في معاملة والدتها معي وكأنها توجه لي رسالة أنها غير راضية عن زواجي من ابنتها ، على الرغم من أن خطيبتي لم تكن تريد التخلي عني أبدا، وتبدَّلت علاقتها الطيبة معي إلى جفاءٍ دام لمدة عشرة أيام تلك الفترة التي قضيتها في مصر وبعدها سافرتُ إلى انجلترا, حتى كانت الليلة قبل الأخيرة تحدثتُ مع خطيبتي وكان

الاتفاق أن أكمل حلم حياتي ،وعزمتُ على أن أُكمل حُلمي وحدي لن أنظر إلى الخلف مهما تعلقتُ بما فيه ومهما كان قدره ومكانته في قلبي, وهكذا فشلتُ في تحقيق أول حُلمٍ يتعلقُ بقلبي وحياتي العاطفية وللأسف لم تكن المرة الأولى, وسيأتي الحديث

عن المرة الثانية في حينها, لكنَّ الذي يعنيني كثيراً من هذا المشهد هو أنني ندمتُ كثيراً على هذه الإنسانة التي ما زلتُأقدرها وأكنُّ لها كل الود والتقدير والاحترام وسأظل هكذا إلى أن أموت.ما يعنيني أيضاً هو أنني ضحيتُ بكل هذا الحبِّ أملاً في تحقيق هدفي وحُلمي ولم يتملكني حزني عليها ولم يكبِّل خطواتي نحوه, حتى وإن كنتُ غير مسؤولٍ عن فشلي معها ولم يكن لي في هذا الأمر شيئا. أريدُ منك أيضاً عزيزي القارئ أنْ تجيبني على هذه التساؤلات التي تراود عقلي منذ أنْ صمَّمتُ على مغادرة الأردن ضارباً بكل المغريات والعروض التي عرضها عليَّ السيد (أبو أحمد) وزير الدفاع الأردني ومالك أكبر فندق في الأردن، عرض الحائط ، ماذا لو أخذت بنصيحته وقبلت منه العرض الذي عرضه علي للبقاء معه ؟ ماذا لو قبلت وأخذتُ خطيبتي معي إلى الأردن ؟ هل كانت حياتي التي أتحدثُ عنها الآن ستكون بهذا الشكل؟؟ لعلك بعد أن تقرأ الفصول القادمة من قصتي هذه سيكون لك رأياً آخر

لا تجعل تعثرك في شيء يُثنيك عن مواصلة حُلمِك..

إنَّ الهجر والفِراقَ من أصعب ما يشعرُ به الإنسان, شعورٌ قاسٍ جداً لاسيما عندما يكون بسبب فقْدِ عزيزٍ أو حبيبٍ تربَّع على عرش قلبك لسنوات, ذاك الشعور الذي إن تمكَّنَ من قلب أحدٍ لربما أفقده رشده وصوابه وأقعدهُ دون حِراكٍ, لكنَّني بادرتُ هذا الإحساس بحسن توكلٍ على الله وقوة عزيمة لا تنثني أبداً ونهضتُ من فوري وبادرتُ بحجز تذكرة الطيران إلى انجلترا وتحدّد ميعاد السفر بالفعل وكان ذلك في السابع والعشرين من يناير سنة 1977وعزمتُ على أن لا أخبر الدكتور رمضان بميعاد سفري إليه,ولعل الذي دفعني إلى هذا هي العادة التي تعوّدتُ عليها منذ الصغر, أنني لا أحبُّ أن أكونَ عبئاً على أحدٍ مهما كانت علاقتي به ومهما كانت صلتي به, ولأنني أعلم حجم الضغوطات التي يعيشها الدكتور رمضان من أسرة وبيت ودراسة وجامعة كل هذا جعلني أُخفي عنه ميعاد سفري حتى لا يتكلف فوق طاقته أشياءً أخرى غير التي يعانيها كل يوم, لكنني كنت أحتفظ بعنوانه في مدينة برمنجهام.

كُنْ متمرِّدا...

دعني أولا أرجع بك عزيزي القارئ إلى عصام جاد هذا الصبي الذي لا يتجاوز عمره الخمسة عشرة عام وتحديدا أثناء رحلته الكشفية من طنطا إلى بورسعيد والتي كان يطمح من ورائها في أنْ يتحصَّل على كسوة الصيف من البضائع المستعملة الواردة من أوربا لمصر وكان لا يمتلك وقتها إلا واحد جنيه فقط, لكن القدَرَ جعله يلتقي أثناء عودته برجلٍ يعملُ مهندساً في قناة السويس كان سبباً في رسم هذا الحُلم بعقل وقلب هذا الصبي الذي سعى واجتهد من حينها في تحقيق هذا الحلم وسلك كل الطرق وتحمَّل من العناء ما تحمّلَ في إنجاز تلك المهمة, وهاأنا اليوم وبعد مرور ما يقرب من اثنتي عشرة سنة أنجح بفضل الله تعالى في تحقيق هدفي المنشود, لم أضعف يوماً أمام كل العقبات التي واجهتني, لم يستطع الفقر في هزيمتي وطعن عزيمتي بسيف العجز والضعف, بل حاربتُ من أجل هدفي بكل ما أوتيتُ من قوة, لم أُلقِ بسلاح الجهد والكفاح والسهر والسفر من مكان لآخر, وكأنني ولدت متمرداً على الحياة وعلى الحالة التي نشأتُ بها, أريدُ تغييرها للأجمل بكل ما أوتيتُ من قوة, بل إن شئتَ قلْ؛ كنتُ متمرداً على نفسي فتمرَّدتْ عليَّ وأصبحتْ لا تهنأُ بتلك الحياة البائسة ولا تأنس بها ولا تتآلف معها, فكانت في لحظات ضعفي خصمي, وفي ثورتي وكفاحي عوني وسندي حتى وضعتُ قدمي على سلم طائرة مصر للطيران لأعبر كل هذه الأزمات والصعاب وأتجاوزها لأبدأ رحلةً كفاحٍ جديدة لكن هذه المرة في بلاد الغرب وتحديدا في انجلترا.

جامع الأقطان، حامل الحقائب، بائع الدجاج، يطير إلى لندن..

بطموحاتٍ كبيرةٍ وتحدياتٍ جديدةٍ, ها أنا ذا أبدأ رحلةَ كفاحِي الأصعبَ على الإطلاق بعيداً عن أهلي ووطني, وكعادتي دائماً لا مُعين ولا سند لي إلا رب العالمين, ثمَّ بذْلُ كلَّ طاقتي وجهدي في الاعتماد على النفس, اليومُ ، يوم الجمعة الموافق السابع والعشرين من يناير لعام ألف وتسعمائة وسبعة وسبعين من الميلاد, أشدُّ الرحال إلى انجلترا في مغامرة جديدة أنظر إليها بعين طامحةٍ إلى مستقبلٍ مشرقٍ, وأخوضها بقلبٍ واثقٍ في الله تعالى أولاً وأخيراً, أتشبّثُ بكل فرصةٍ تقرِّبني من تحقيق هدفي, أركبُ الطائرةَ ولا أعرفُ أين ستهبط بي!! ليس معي إلا ورقةً مكتوبٌ عليها عنوان أخي الدكتور رمضان, لكن؛ كيف سأصلُ إليه ؟؟ لا أدري!! ظلَّ هذا السؤالُ يتردّدُ في خاطري لكنني لم أعرف له جوابا! إلى أن جلستْ بجانبي امرأةٌ على مشارف الخمسين من عمرها فشعرتْ بأنني في حيرة شديدة وقرأتْ في عيني أنني مسافرٌ إلى مجهولٍ

؛فسألتني عن وجْهَتي؟ فقلتُ لها أنزلُ عند أخي الدكتور رمضان. فقالت؛ وأين هو الدكتور رمضان؟ فقلتُ لها في مدينة برمنجهام، وكان من حُسن حظي أن قالت لي؛ لا تقلق فأنا أيضاً في الطريق إليها, وسنذهب معاً إلى محطة (يوستن) التي منها تذهب أنت إلى برمنجهام؛ وبالفعل هبطتْ الطائرةُ في مطار(هيثرو) بلندن وتوجهنا إلى محطة (يوستن) ومنها ركبتُ قطاراً إلى (برمنجهام)حيث يسكن الدكتور رمضان.

عند الثالثة فجراً..

في هذا الوقت بالتحديد لمستْ قدمي أرض هذه المدينة (برمنجهام) ورغم أنه وقتٌ متأخرٌ إلا أنني رأيتها وكأنها في الثالثة عصرا, الشوارع ممتلئةُ بالشباب والفتيات الساهرين في الملاهي الليلية (والديسكوهات) وكان هذا الوقت هو وقت خروجهم وعودتهم إلى مساكنهم, ووجدتُ نفسي وكأنني أقفُ في غرف نوم وليس طريق عام, فكان لكل شاب فتاة يحتضنها ويقبّلها علانية، وحينها تظاهرتُ أنّ الأمر بالنسبة لي عادي جدا لكنني من الداخل لستُ على ما يرام, أي نعم لم تكن المرة الأولى لي التي أشاهد فيها قبلات وأحضان؛ فقد رأيته في مصر وقمتُ به بنفسي لكن ليس بهذه الصورة ولا بهذا الأسلوب الذي جعلني من الداخل (تعبان جدا) ووقفت في الطابور أنتظر (التاكسي) كبقية الناس ولم أعرف وقتها إلا صباح الخير أو مساء الخير بالإنجليزية،فاللغة الإنجليزية عندي تحت الصفر فلما ركبت

(التاكسي) سألني السائق عن المكان الذي أريده فأعطيته الورقة التي بها عنوان الدكتور رمضان فأخذها ومضى في طريقه إلى مسكن الدكتور رمضان ولأن الوقتَ كان متأخراً جداً ولأنه لا يعلم بسفري إليه أخذنا نطرق الباب كثيرا فلم يسمعنا أحد؛ فقام السائق بحيلة ذكية ليلفت انتباه الدكتور رمضان أننا بالأسفل, فأخذ البطارية (الكشاف) وأخذ يضرب بنوره في (شباك) حجرته حتى تنبّه إلينا وعلم أنّ هناك مَن ينادي عليه بالأسفل.

بعد ست سنواتٍ..

لم يخطر ببال الدكتور رمضان أنَّ الذي يوقظه من نومه في الرابعة فجرا هو عصام أخوه ؛ فهو لم يره منذ ستة سنوات, أذكر أنه لما رآني لم يتعرّف عليّ وظنَّ أنني عادل (أخي الأكبر) لأنه سافر وتركني فتىً صغيرا قصيرا من غير لحية ولا شارب, وها هو الآن يفتح الباب لي قائلاً بكل فرح وسرور: عاادل!! لكنَّ هذا الشعور الجامح بالفرح والسرور تحول إلى دهشة واستغراب حينما قلتُ له (عادل مين يا أبيه؟ أنا عصام) وكان لقاءً مليئاً بالحب والترحاب كما تعودت دائما من صاحب القلب الكبير أخي الدكتور رمضان الذي دائما ما كان يغمرني بحسن الصحبة رغم فارق العمر بيننا, وفي بيته شعرت بهذا الإحساس أيضاً بل ووجدته من زوجته وأولاده (هاشم وسحر) رغم أنّ (هاشم) لم يولد بيننا في مصر بل ولد في انجلترا أما (سحر)

فسافرتْ مع أبيها وهي بنت تسعة أشهر فقط, وبمجرد أن علموا أنَّني في بيتهم إذ بي أستيقظ على صوتهما وهما جالسين عند رأسي ينظران إليَّ في دهشةٍ أيضاً لأنني أول شخص يرونه من أعمامهم, فقمتُ فرحاً بهم واحتضنتهم وكنت في غاية السعادة وهما بين يدي.

وجلسنا جميعا لتناول الفطور, وبعدها قال لي الدكتور رمضان (تعالى معي للجامعة أعرفك على بعض الزملاء المصريين) وكانت هذه هي أول جولة لي في انجلترا وذهبتُ معه إلى الجامعة والتقيت بأصدقائه وتعرفتُ عليهم وكانوا في غاية الإعجاب بي لأنني نجحتُ في السفر من مصر إلى برمنجهام دون دليل ولا لغة ولا أي شيء ممكن أن يعينني على هذا السفر، ووصفوني بالشجاع والجريء.

وبعد ثلاثة أيام في ضيافة الدكتور رمضان قررتُ السفر من برمنجهام إلى لندن لبدء رحلة الكفاح الأصعب في حياتي, وأخبرتُ الدكتور رمضان بهذا ؛ فعرض عليَّ أن يسافر معي فسألته عن السبب!! فقال لكي أبحثَ لك عن عملٍ وسكنٍ, فاعتذرتُ له وقلتُ؛ حينما أتيتُ إليك وإلى باب بيتك لم يكن معي أحدٌ(وبفضل الله) وصلتُ إليك دون مساعدةٍ من أحد, كل ما عليك يا دكتور رمضان هو أن تدلني على محطة الأتوبيس لأحجز تذكرة السفر إلى لندن, وبالفعل ذهب معي وهناك رأيته يخرج من جيبه ثمن التذكرة فامتنعت وقلتُ له؛ (آسف يا دكتور رمضان أنا لا أقبل أن يدفع لي أحدٌ ثمن التذكرة) فغضب مني كثيرا وأقسم أن يدفع هو، فلما رأيته بهذه الحالة من الغضب قلت له: (أوك يا دكتور رمضان كما تحب لكن لا تكرر هذا معي

مرة أخرى) وأخذتُ تذكرة السفر إلى لندن ورجعتُ معه إلى بيته لأبيتَ فيه حتى موعد الرحلة وهناك أخذتْ زوجته الفاضلة تسألني عن أي شيء أحبه لكي أخذه معي, فقلت لها؛ لا تُتعبي نفسك من أجلي، لكنها صممتْ وقامت بصنع بسكويت وشيئاً من المربى وهكذا ... وظللتُ في بيت الدكتور رمضان حتى جاءت لحظة السفر فودعتهم جميعاً وتوجهت إلى محطة الأتوبيس لبدء رحلة البحث عن عملٍ في لندن.

محطة فكتوريا كوتش استيشن..

في أول خُطوات لي في مدينة الأحلام (لندن) كانت في محطة فكتوريا كوتش استيشن وحينها كنت لا أملك إلا عيني وأذني فقط أما لساني فكنت لا أستطيع أن أنطق بكلمة واحدة إلا (GOODMORNING) GOOD EVENING) فقط كما يقول المثل الشعبي (زي الأطرش في الزفة) وخرجت من المحطة أبحث عن مسكنٍ وكان من حسن حظي أنني قابلتُ رجلاً مصرياًفسألته عن مكان أسكن فيه فدلني على منطقة يسكن بها مصريون وعرب من كل البلدان, فسألته عن كيفية الوصول إليها فقال؛ اركب أتوبيس رقم ... وهناك ستجد سكناً فشكرته كثيرا وركبت الأتوبيس وهناك أخذت أسأل وأبحث حتى وجدتُ رجلاً آخر يتحدث بالعربية فسألته عن مسكن فقال لي يوجد هنا بيت يسمى بيت المصريين ففرحت كثيرا وقلت الحمد لله على تسهيله

الأمور أمامي وبالفعل توجهت إلى هذا البيت وطرقت الباب واستقبلني أحدهم بكل ترحاب وأخذ يعرض علي أسعار الغرف التي منها غرفة بسرير واحد ومنها بسريرين ومنها بثلاثة فقبلت أن أسكن في غرفة بثلاثة أسرّة مقابل خمسة جنيهات في الأسبوع وبها تعرفتُ على صديقين مصريين كانا قد جاءا إلى لندن قبل عامين فكانت عندهما الخبرة الكافية في كل شيء, وأخذتُ أسأل كيف يعيشان؟ وفي أي مكان يعملان؟ فقالا نعمل في مطعم في اكسفورد مقابل خمسة وعشرين جنيهاً في الأسبوع لكل واحد ، فعرضا عليّ أن أعمل في المطعم معهما فقبلت وذهبت معهما وهناك تعرفت على صاحب المطعم، ذلك الرجل الجزائري الجنسية صاحب الأخلاق العالية والذي لم يتردد في إيجاد عملٍ لي في مطعمه بعد أن دار بيننا حوار شعرت منه أنه يعرفني منذ زمن بعيد ، لم تكن المسافة بيننا بعيدة للدرجة التي أشعر من خلالها أنه صاحب مطعم كبير وأنا مجرد شاب أعرضُ عليه أن أعملَ عنده ، وأخذ يسألني ؛ ماذا تحبُ أن تعملَ؟ فقلت له أنا ماهر جدا في تحضير السلطات وبعض المأكولات؛ فقال حسناً يا عصام قبلتُ منك هذا مقابل خمسة وعشرين جنيهاً في الأسبوع ، وقال ادخل إذاً إلى المطبخ لتساعدَ الشيف وكان رجلاً مصرياً، الأمر الذي ساعدني كثيرا في التفاهم معه وتعلمتُ منه كيف أقومُ بطهي المأكولاتِ التي يقدمها المطعم لزبائنه ، لأن كل مطعم له قائمة مأكولات واحدة وعدد معين من الاصناف ، ورأى مني همةً ونشاطاً وأعجب كثيراً بي فلم يبخل عليّ بالنصيحة ولا بخبرته في هذا المجال ، وظلّ الأمر هكذا لمدة ثلاثة أسابيع فقط فانظر ماذا حدث بعد ذلك...

حين تأتيك الفرصةُ لتكون الرجل الأول تشبث بها فقد لا تأتيك أبداً...

بعد ثلاثةِ أسابيعَ فقط من العمل كمساعد للشيف المصري الذي تعلمت منه في خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة كل ما يقوم به من عمل في هذا المطعم ، إذ بالفرصة تأتيني على طبق من ذهبٍ لأصبحَ أنا الرجلُ الأولُ بل وأهمُّ عاملٍ في هذا المطعم ، وذلك بعد أنْ قامتْ الشرطةُ الانجليزيةُ بالقبض على هذا الرجل بعد مشاجرةٍ له في أحد المراقصِ الليليةِ ، ولما تمّ القبضُ عليه تبيّنَ لهم أنّ إقامتَهُ غيرُ قانونيةٍ ؛ فقاموا بترحيله من البلاد ، وفي صباح اليوم التالي كالعادة ذهبتُ إلى المطعمِ فإذْ بي أجدُ الرجلَ الجزائريَّ مالكَ المطعمِ في حيرةٍ من أمره لدرَجة أنه كان يبكي ، فسألتُهُ عن سبب حيرَته وبكائه !! فقال لي (بيتي هيتخرب يا عصام) فقلتُ له ماذا حدث؟ فأخذ يحكي لي ما كان من أمر هذا الشيف المصري ، فقلتُ له لا تقلق أنا سأقوم بما كان يقوم به وسأنجز لك هذه المهمة مثله وأحسن منه ، فتوقف الرجلُ عن البكاءِ وقال بكلِّ دهشَةٍ واستغرابٍ أنت!!؟، قلتُ نعم أنا ، قال لو فعلتَ ذلك ستكونُ أنت الرجل الأول في هذا المطعم وسأعطيك خمسةً وستين جنيهًا راتباً كما كان يأخذ الشيف السابقِ ، فقبلتُ منه هذا العرض، وكان هذا الأمر يمثل لي نقلةً كبيرةً جداً في بدايةِ عملي في لندن فما هي إلا ثلاثة أسابيع فقط وبعدها

أصبحتُ الرجلَ الأولَ ، وعلى الناحية الأخرى مازال محمد وعادل في مكانهما مجرد عاملين يمسحان الطاولات والأطباق مقابل خمسة وعشرين جنيهاً فقط ، منها عشرة جنيهات من كل واحد مقابل المسكن ، وهذا درسٌ في غاية الأهمية ألا وهو؛ لابد للإنسان أن يكون ذا هدفٍ يسعى إليه ، لابد أن يتَّسِعَ أفقه وتتسعَ عينُهُ ليرى نفسَهُ في مكانةٍ أعلى مما هو عليها ، هذا الدرسُ الذي جهِلَهُ كلٌّ من عادل و محمد ؛ فلقد بدءا بمسح الطاولاتِ وغسلِ الأطباقِ وانتهى بهما الأمر عند ذلك ، لم يستطعْ كلٌّ واحدٍ منهما أنْ يتجاوزَ حدودَ هذه الدائرةِ المغلقةِ التي وضعَ نفسَهُ فيها، في الصباح بين الطاولات والأطباق وفي المساء في المراقص وبين أحضان الفتيات الغانيات وهذا هو الفارق بين المجتمع الشرقي والمجتمع الغربي وسأوضح لك هذا الفارق في المشهد القادم .

ديسكو بيكا ديللي...

بعد انتهاء يومِ عملٍ جديدٍ وكالعادةِ نجتمعُ في غرفتنا ذات الثلاثةِ أَسرَّةٍ ، وذات ليلة رأيتُ كُلًا من عادل و محمد يتجهّزان للخروج فسألتهما إلى أين ؟ فقالا؛ إلى ديسكو بيكا ديللي ، تأتي معنا؟ فقلت نعم بالتأكيد ، وكانت هذه المرة الأولى لي التي أدخلُ فيها ملهى ليلي |، وترى عيني الشباب والفتيات يتراقصون ويشربون دون أيَّ قيودٍ وجلستُ على طاولةٍ وحدي مندهشاً مما أراهُ، لكن عادل و محمد كل منهما يحتضن فتاة يتراقص معها ويقبلها وأنا أتكفل بالمشاهدة وفقط ، وفي ظل هذه المعمعة العجيبة ودون أي مقدمات وقفتْ أمامي فتاةٌ من أجمل ما رأتْ عيني وأخذتْ تتحدثُ معي لكنني اكتفيت بفتح فمي لأنني لا أستطيع فهمَ ما تقولهُ ، وفجأة ودون أي مقدمات أيضا مسكتْ بيدي وجذبتني نحوها وصعدتْ بي إلى المرقصِ ، كل هذا و أنا لا أدري ما ذا يحدث، ثم سكنتْ الموسيقى الصاخبةُ لتتحولَ

إلى موسيقى هادئةٍ وحينها احتضنتني بين ذراعيها واخذتْ تقبلني ، ولا أخفيك سراً أنني كنتُ في غاية الشعور بالانبساط ، وبعدأن انتهتْ الرقصةُ اخذتْ تتحدثُ معي مرة أخرى بكلام كثيرٍ لا أفهمُ معناهُ، وبعد عناءٍ طويلٍ وأخيراً فهمتُ أنها تسألُ عنْ مكان سكني فصحبتها إلى هناك وأبلغتُ كلاً من عادل ومحمد أنهما خارج نطاق الحجرة في هذه الليلة ، وكانت هذه هي المرة الأولى في حياتي أنْ أقومَ بمعاشرةِ امرأةٍ معاشرةَ أزواج ، وظل الأمر هكذا لمدة أسبوع ، وكان من الممكن أن تطول المدةُ أكثر من ذلك لولا أنني حديث عهد بهذه الثقافات التي تختلف اختلافاً كليّاً بالثقافة التي تعلمتها وحملتها معي من قريةِ أبو الغر ، ففي ليلة من الليالي وأثناء تواجدنا معاً في المرقص قامت لتشتري مشروباً وهناك رأيتها تقبل شاباً آخر فقامت ثورتي ولم تهدأ ؛ وأخذتْ تبرر لي وتقول إنه صديق ، لكن كما قلتُ لك إن الجهل ببعض ثقافات الآخرين قد ينفعك أحياناً وبناءً عليه ؛ انفصلنا ولم نعد نلتقي مرة ثانية ، لكن هذا الأمر لم ينتهِ عند هذه الفتاة السويدية وحسب، إنما تعدّاها إلى أكثر من فتاة ، كل هذا أطرحه عليك ليس لأهميته إنما لهدف آخر ألا وهو؛ تسليط الضوء على الفارق الشاسع بين المجتمع الشرقي والمجتمع الغربي ؛ فهناك فرق شاسع بين ثقافة هذا وثقافة ذاك ويتضح هذا الفارق عندما تنظر إلى كل من عادل ومحمد هذين الشابين اللذين أتيا قبلي إلى انجلترا بعامين أو يزيد لكنهما حينما اصطدما بثقافة المجتمع الغربي لم يتقدمّا للأمام خطوة واحدة وكأنهما قد بلغا ذروة المجد وعنان السماء بمجرد أن عاشرا الفتيات وتراقصا معهن وهذه ثقافة الشعوب العربية والمجتمع العربي إلا من رحم ربي ، لكن

في الناحية الأخرى وفي الاتجاه المعاكس تجد أن كثيراً من الشباب والفتيات من المجتمع الغربي رغم ما يعيشه من حريات وعادات إلا أنه يفصل بين هذا وعمله وواجبه نحو النهوض بنفسه ومن ثم بوطنه، تراه أثناء الليل في المراقص والحانات وفي الصباح رجلاً نشيطاً مهتماً بعمله ملتزماً به ، يحترم وقته ولا يتوانى لحظة في تقديم أفضل ما لديه ، وهذا ما تعلمته سريعاً وأدركته بعقلي قبل فوات الأوان ، ففي ليلة ما امتنعتُ عن الخروج وجلستُ وحدي أفكرُ وأسألُ نفسي لما أتيت هنا يا عصام؟ هل جئتَ إلى هنا لتكون مجرد شيف يتقاضى خمسة وستين جنيهاً في الأسبوع ثم يصرفها في الملاهي والمراقص الليلية؟ فأخذتُ العهدَ على نفسي أنْ أطورَ من ذاتي وأنْ أهتم كثيراً بعملي وبالناحية المهنية حتى تمردتُ على الحال التي أنا عليها وتمردتُ على المكان الذي أعيشُ فيه وأصبحتُ أفكرُ في الرحيلِ

عنه إلى مكان آخر أكثر رقيًا وسكاناً آخرين أكثر نضجاً و أعلى ثقافةً. وبالفعل اتخذتُ أولَ خطوةٍ لتحقيقَ هذا الأمر؛ فتركتُ المكان الذي يعيشُ فيه محمد وعادل و سكنتُ في مكان آخر

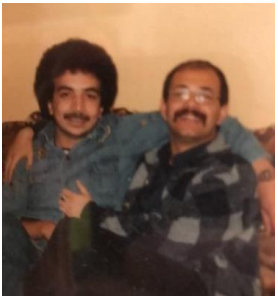

أجمل و أرقي ، وكانٍ عبارةً عن بيتٍ من بيوتِ الملكةِاستأجرتْهُ امرأةٌ ألمانيةٌ يهوديةٌ تبلغ من العمر خمسة وستين سنة وكان اسمها مسآرمنج و البيت في منطقةٍ اسمها همر سميث منطقة راقية جدا فاستأجرتُ منها حجرةً مقابل عشرةِ جنيهات في الأسبوع ، وظل الأمر هكذا ما بين أوكسفورد وهمر سميث وفي يوم ما قابلني رجل تعرفت عليه في البيت القديم مصري اسمه محمد وكان قد سافر إلى بلد اسمها جريت يارموث في الصيف ، وبعد أن انتهى موسم الصيف اتصل بي وقال أنه يبحث عن مسكن فتحدثتُ مع مس آرمنج ؛ فقالت هنا حجرة مقابل عشرة جنيهات ؛ فقلت له تعالى اسكن معي ، وبالفعل جاء وأصبح يعيش بالغرفة التي بجواري، وفي المساء يعمل جرسون في مطعم يوناني وأنا ما زلت أعمل في مطعم الرجل الجزائري ، وفي ليلة ذهبتُ لزيارة محمد في مكان عمله وهناك تعرفتُ على الرجل اليوناني مالك المطعم فعرضتُ عليه أن أعملَ في مطعمِهِ وشرحتُ له ما يمكنني القيام به ؛ فوافق أن أكونَ مساعدا للشيف مقابل خمسين جنيها في الأسبوع ، وبعدها قسّمْتُ يومي بين شيف رئيسي في مطعم بأوكسفورد وبالليل مساعد شيف في مطعم الرجل اليوناني على مدى الأسبوع عدا مساء يوم السبت فكنتُ أذهبُ لزيارة الدكتور رمضان في مدينة برمنجهام وأرجع مساء يوم الأحد.

نعود إلى الجانب العاطفي في حياة عصام جاد... (ماندي)

إنني أركز على هذا الجانب من حياتي لأدلل لك عزيزي القارئ على أمر في غاية الأهمية ألا وهو ؛ أنه ليس كل ما تحلمُ به بإمكانك أن تَقومَ به ، وصدق القائل إذ يقول : ما كل ما يتمنى المرء يدركه ** تجري الرياح بما لا تشتهي السفن .
هذه هي المرة الثانية التي يقع فيها قلبي فريسة في شِراك هوى امرأةٍ أخرى ، لكن هذه المرّة كانت في انجلترا وتحديداً في ديسكو همر اسميث باليه (مرقص همرسميث) كنت أتردد عليه أنا وصديقي محمد، وهناك تعرفتُ على بنت في قمة الجمال،اسمها (ماندي) في السادسة عشرة من عمرها،عرضتُ عليها أن نرقصَ معاً فوافقتْ وتحدثتُ معها ؛ فعلمتُ أنها من مكان اسمه (مقاطعة يوكشا) وجاءتْ إلى لندن بصحبة صديقتها لتقضي معها إجازة لمدة أسبوع ،وعرفتُ منها أنّ هذه هي المرة الأولى لها التي تأتي فيها إلى لندن،وظلتْ معي طوال هذا الأسبوع ، وقبل أن تنتهي الإجازة طلبتْ مني أنْ أسافر إلى مقاطعة يوكشا لمقابلة والدها لإقناعه أن أصحبها معي إلى لندن لتعيشَ معي فوافقتُ وسبقتني هي إلى هناك وحددتْ لي مع والدها ميعاداً وبعدها سافرتُ أنا، وكانت رحلةً عجيبةً جداً، أذكر أنني بمجرد أن نزلتُ من الأتوبيس ووقفتُ أنتظرُ ماندي لتأتي وتأخذني إلى بيتها ؛رأيت الناس من حولي ينظرون إليّ كأنني

وافدٌ من كوكبٍ آخر وكل مَن رآني ترك ما بيديه وأخذ يُمعِنُ النظرَ فيّ،حينها ظننتُ أنّ هذا بسبب طول شعري لكنني عرفتُ من ماندي فيما بعد أنّ سكان هذه المقاطعة لا يتعاملون مع أي فصيل آخر لأنهم يحملون شكلاً معيناً وصفات معينة يتميزون بها عن غيرهم ، وكانت ماندي بانتظاري بصحبة أخيها بسيارته فسلمتُ عليه وماهي إلا لحظات ووصلنا إلى البيت ، وهناك صعدتْ بي ماندي إلى الطابق العلوي وأشارت إلى غرفةٍ وقالتْ هذه غرفتك ، فدخلت وقمت بتغيير ملابسي وبعدها نزلت لمقابلة والدها ذلك الرجل الذي يعرف الكثير والكثير عن مصر وعن المجتمع المصري لأنه كان ضابطاً في الجيش الانجليزي الذي كان في مصر أثناء الحرب العالمية الثانية ،لكن وبكل أسف كان لديه انطباعاً سيئاً عن المجتمع المصري ، فكانت هذه بداية غير مبشرة بالمرة ، لكنني تجاوزتُ هذا سريعاً وبدأتُ أعرضُ عليه ما عندي ؛ فقلتُ له أنا أُحبُّ ماندي ، وأسكن في همرسميث ، وأعمل في مطعمين وأنا أريد منك أن توافق على أن أصحبها معي إلى لندن تسكن في غرفة منفردة وأبحث لها عن عمل وستكون جزءً مني وسأحافظ عليها ، وأثناء حديثي معه كانت والدتها تساعدني كي أحصل على موافقته لأنّ القانون الانجليزي لا يسمح لمن هو دون السن أن يتخذ قراراً بمفرده ، وفي هذا التوقيت كانت ماندي تبلغ من العمر ستة عشرة عاماً ولن تستطيع اتخاذ أي قرار إلا بعد أن تتم السبعة عشرة عاماً ، على أية حال؛ وافق الرجل بشرط أن أحافظ عليها و أوصاني بذلك فعاهدته على ذلك فاطمأنّ لي ووثق مني ، وعلى الفور بادرتُ بحجز تذكرة الأتوبيس المتجه إلى لندن وأبلغتُ ماندي بميعاده ،

وبعد أن قضّيت يومين مع ماندي وأسرتها في يوكشا سافرت قبلها إلى لندن لأحجز لها غرفة عند مس آرمنج وكنت أتكفّل بإيجار هذه الغرفة لماندي أيضاً ، ولما جاءت لحظة وصول الأتوبيس كنت في انتظارها وصحبتها إلى المسكن ، وما هما إلا يومين فقط وقد عثرت على عملٍ لماندي في محل أحذية مشهور في أكسفورد ، وفي ليلة ما، قالت لي ماندي : لي عندك رجاء!! فقلتُ وما هو؟ قالت أريد أن أظلّ هكذا عذراء إلي يوم زواجنا ؛ فقلت لها: كما تريدين ، وكان هذا الأمر سبباً من أسباب عشقي لها فقلما تجد فتاة عذراء في انجلترا، وظلّ الأمر هكذا بيننا لمدة تسعة أشهر كانت أجمل تسعة أشهر عشتها في عمري كله ، لكن في الفترة الأخيرة من هذه المدة كنتُ قد شعرت بشيء مريب وهو كثرة سفر ماندي إلى أهلها،وفي يوم ما جاءني اتصالٌ من أختها تقول أن هناك عريس يريد أن يتزوج ماندي ، وأخذتْ تسرد أسباباً كثيرة ومنها أنني أجنبي ولا أملك المقومات التي تجلب السعادة لماندي ، وبعدها عرضتُ الأمر على ماندي قالت أنها معجبة به وتريد الانفصال عني؛ فوافقت على ذلك وحددنا ميعاد الرحيل ، ولما حانت اللحظة وجاء هذا اليوم جلسنا طوال الليل نبكي إلى أن جاء ميعاد الأتوبيس وسافرتْ ماندي، وإلى هذه اللحظة لم أرها ولا مرة ، لكنني علمتُ فيما بعد من مس أرمنج أنها جاءت برفقة والدتها لتبحث عني ، تقول مس آرمنج عندما اتصلت بها : كانت ماندي تبكي وتسأل عني وكأنها ندمتْ على قرارها وهجرها لي ، لكنني وقتها كنت لا زلتُ أتعامل بعقلية هذا الشاب الذي يعيش بين جنبات شجيرات التوت الذي لا يفكر إلا بردِّ الاعتبار مردداً : طالما كان هذا اختيارها في البداية

؛ فعليها أن تتحمل ، لكنني فيما بعد وبعد مرور أعوام كثيرة على هذا الأمر أشعر بالندم عليها ، لأنها كانت إنسانة جميلة وتحمل صفات ومعانٍ أجمل.
كل هذا تعمّدتَ طرحه ؛ لكي أنصحَ هذا الشاب الذي تتعثر حياته بمجرد أن يمرّ بمثل هذه التجربة، قد يستبيح اليأس مستقبله ويقتل الحزن أحلامه ويضيع عمره من بين يديه أسفاً على حبه الذي لم يكتمل، إنّ مثل هذه الأوقات العصيبة يتطلب معها قوة وقناعة ، قوة في الدين بأن تسلّم أنّ الزواج رزق ولن يقدر أحدٌ على أخذ رزقك الذي كتبه الله لك مهما كانت قوته ،أذكر كلمةً لأمي _رحمها الله تعالى (يا عصام ما فيش حد بيتجوز مرات حد) وكذلك قوة في العزيمة والإصرار على المضي قدماً في تحقيق هدفك ، فأنا قد تعرّضت لهذا الموقف العصيب مرتين لكنني تغلبت فيهما على حزني وقتلتُ بسيف العزيمة يأسي ومضيت في طريقي الذي بدأته ، وها أنا ذا أقول لك إنني أحببتُ في حياتي امرأتين من كل قلبي ولم أتزوجهما ، وتزوجت امرأتين ولم أشعر بأي عاطفة نحوهما ، فكن على يقين أن امرأتك لن يتزوجها غيرك . وهذا ما حدث معي نَصّاً ..
فبعد أن افترقنا أنا وماندي لم تمض خمسة أشهر فقط على رحيلي من لندن بعد أن عرض عليّ صديقي محمد أنْ أسافر معه

إلى يارموث، وكان ذلك تحديداً في شهر مارس وهناك تعرّفت على عائلة مستر كيكي ، هذا الرجل اليوناني الذي أتي إلى انجلترا هو واثنين من أصدقائه واشتركوا جميعاً في إنشاء مطعم إلى أن أصبحت سلسلة مطاعم كبيرة ، وكنت أعمل مساعداً

للشيف في إحدى هذه المطاعم ، وبفضل الله تمتعتُ بمحبة كبيرة من كل أفراد هذه العائلة خاصة مستر كيكي الذي كان يفاخر بي أمام أبنائه لأنني كنت أعمل وأدرس في نفس الوقت فكان من شدة حبه لي دائما ما كان يقول لي: عصام أنا عندي من الأولاد أحد عشر وأنت الثاني عشر لا تختلف عنهم أبداً ، وبالفعل كنت أتعامل من جميع أفراد الأسرة على أنني واحد منهم ، خاصة (جون كيكي) الرسام العالمي الذي ضرب المثل الأروع في الصبر والكفاح فهو في البداية كان فناناً مغموراً لا يعرفه أحد لدرجة أنه ترك هوايته ولوحاته واتجه إلى العمل في المطاعم لكنه بعد صبر وكفاح أصبح اليوم من الرسامين العالميين وتربطني به صداقة قوية منذ عام 1977 إلى يومنا هذا وأحتفظ منه بلوحات له لا تقدر بثمن ، على أية حال ظلّ عملي معهم طوال فترة الصيف حتى ادخرت مبلغ ألفين جنيه استرليني ، كان هذا المبلغ هو نتاج جهدي وتعبي طوال مدة الصيف في هذا المكان (يارموث) وبعد العودة إلى لندن ، وفي إحدى الليالي وأنا أمشي في شوارع يارموثرأيت إعلان ملصق علي بيت قديم ومعروض للبيع ، فتوجهت على الفور لمكتب سماسرة وسألت أحدهم عن هذا البيت فقال: هذا البيت لمجموعة من الورثة ويريدون اثنين وعشرين ألف جنيه قيمة له ، فقلت له أنا أريد أن أشتري هذا البيت ، فقال كم تدفع فيه ؟ فقلت له اثنتي عشرة ألف جنيه ؛ فقال الرجل السمسار هذا مستحيل لأن الورثة حددوا مبلغ اثنين وعشرين ألفاً وانت تقول اثنتي عشرة ألف فقط!! فقلت له ما عليك إلا البلاغ ، أبلغ الورثة بهذا العرض فإن قبلوا

اشتريته منهم وكان هذا في عام 1979م ، وبعد أن أنهيت حديثي مع السمسار توجهت في الصباح لأحد البنوك وقابلت مدير البنك وقلت له أنا أريد أن أشتري هذا البيت وأريد سلفة من البنك ، فقال هذا البيت قيمته اثنين وعشرين ألف جنيه وأنت ليس معك إلا ألفين فقط ، فقلت له أنا سأشتريه اثني عشرة فقط ؛ فقال هذا مستحيل وعلى أية حال إن وافقوا على بيعه بهذا المبلغ فسأعطيك سلفة على هذا البيت ، وبعد ثلاثة أيام جاءني اتصال من السمسار يقول فيه إن الورثة أصحاب البيت يعرضون البيت بثلاثة عشرة ألف جنيه ؛ فقلت له لن أشتريه إلا باثنتي عشرة ألفا فتم الاتفاق على ذلك وبعدها ذهبت لمدير البنك من جديد وأخذت سلفة من البنك قيمتها عشرة آلاف جنيه وكان معي ألفين فتمت عملية شراء البيت مقابل اثنتي عشرة ألفا ، وما هي إلا ساعات وأعلمت كل أصدقائي بهذا الأمر وكان منهم النجار والسباك والكهربائي وكل الحرف فكلهم عرضوا عليّ تطوير هذا البيت كلٌ حسب صنعته ومهنته وبفضل الله تعالى ما هي إلا أربعة أشهر فقط هي المدة التي قضيتها في هذا البيت بعد أن قمت بتجديده قمت بعرضه للبيع مقابل اثنين وعشرين ألف جنيه استرليني وقد كان؛ فكان ربحي من وراء

هذه العملية عشرة آلاف جنيه بعد أن قمت بتسديد البنك؛ فأعجبتني هذه الفكرة جدا وكررتها أكثر من مرة ،لاسيما أن الحكومة الانجليزية في هذا التوقيت أصدرت قانوناً يخدم هذه الفكرة جدا ،وهو أنه من يقوم بشراء البيوت القديمة ويعمل على ترميمها وإعادة رونقها من جديد؛ فإن الحكومة الانجليزية تلتزم بدفع قيمة ثمانين بالمئة من تكاليف الترميم والتصليح ،الأمر الذي ساعدني كثيراً في ممارسة هذا العمل الذي تحصّلتُ من ورائه على مكاسب مالية كبيرة بجانب الخبرة الكبيرة التي اكتسبتها في هذا المجال.

امرأة تزوجتها (الانجليزية)

..قرارات خاطئة...

قبل العودة إلى لندن من رحلة يارموث الصيفية مع صديقي محمد ، وأثناء عملنا في سلسلة مطاعم كيكي، وبعد يوم من العمل اصطحبت صديقي محمد إلى أحد المراقص الليلية وهناك تعرَّفتُ على زوجتي الأولى ، كانت انجليزية اسمها (دون) والذي دفعني للزواج منها ليس الحب والعاطفة ولكن لأنني قد تجاوزت الفترة الزمنية المحددة لي بالإقامة في انجلترا ، وكان لا بد لي أنْ أجدد الفيزا أو يتم ترحيلي إلى مصر ، وأثناء زيارتي لأسرتها إذ بجدتها تقول لي (هتتجوز بنتنا امتى يا عصام؟ تعالى

اتجوزها أنا موافقة على جوازكم) بعدها اتصلت على الدكتور رمضان وشرحت له الأمر تفصيلاً فقال لي بالحرف الواحد (أنت حر ، دي حياتك) وكان هذا هو حال الدكتور رمضان معنا يعطي النصيحة فقط لكنه يترك الاختيار لصاحب الشأن ، ،وهكذا شكَّل الدكتور رمضان دوراً رئيسياً في قصة حياتي ولعب دوراً أكبر في تكوين شخصيتي التي تعتمد أولاً وأخيراً على نفسها ومن ثَمَّ تتحمل تبعات ما تقرره وتمشي إليه ، لكنني في هذا الوقت بالذات كنت أحتاج منه أن يأمرني أن لا أفعل، وهذا هو الأمر الذي آخذه على الدكتور رمضان لأنني بعد ذلك اكتشفت أنه كان من الضروري أنْ ينصحني بأن لا أتزوجها، على أية حال بعد أن اتفقتُ مع (الانجليزية) وأهلها على الزواج تمّ العقد في الشهر العقاري واتصلت بالدكتور رمضان لكي يحضر مراسم الزفاف وكذلك عائلة مستر كيكي وتم الزفاف بحضور حشد كبير من أصدقائي اليونانيين وكذلك من بعض معارف الدكتور رمضان.

وبعد الزواج أصبح الأمر مختلفاً جداً ؛ فكانت حياتي لا تعرف لحظة فراغ واحدة ؛ لأنني أصبحت مسؤولاً عن أسرة (زوجة وأولاد كنت وقتها قد أنجبت ابني شريف) وكذلك عملي مع (لوي وعائلته) في المطاعم وأيضاً دراستي في إحدى الكليات الهندسية ، وتعمدتُ أن يكون مجال دراستي في هذه الكلية في الخراطة ؛ لأنني خرجت من مصر وأنا أحمل دبلوم صناعي قسم خراطة لكن الدراسة في هذه الكلية يختلف تماماً عما درسته في مصر؛ لأن الدراسة في هذه الكلية كانت على الكمبيوتر ووسائل تعليمية حديثة لم تكم موجودة آنذاك في مصر ، وبعد عامين من الدراسة في هذه الكلية حصلت على بكالريوس خراطة معتمد ومن هنا

تركت مجال العمل في المطاعم و التحقت بشركة هندسية عملت بها مقابل ثمانين جنيها في الأسبوع لكن وبعد فترة جاءني اتصال من صديقي جون كيكي يقول ؛ بأن الشيف الذي يعمل معه في المطعم لم يعد يأتي للمطعم ، وأخذ يلحُّ عليّ أن أعمل معه في المطعم من جديد وعرض عليّ مبلغ مائتين جنيه في الأسبوع ، فقلت له دعني أفكر قليلاً وأرد عليك،ويومها ذهبت إلى البيت أفكر في كلام جوني وأخذت أطرح على نفسي سؤالاً ؛ لم أنا هنا؟ لما أتيتُ إلى هنا؟ هل لكي أصبح المهندس عصام ؟ أم لكي أعيش حياة كريمة ومعي من المال ما يساعدني على هذا؟ وأخذت قراري بأن أترك الشركة الهندسية وأعود للعمل من جديد مع جون في المطاعم وبالفعل دون تردد اتصلت بجون وقلت له أنني موافق ولكن دعني أبلغ الشركة بهذا القرار لكي يكون عندهم البديل ، وقمت بإبلاغ الشركة وأصبحت من جديد شيف في مطعم من سلسلة مطاعم كيكي وبالتحديد في مطعم سي فود ريستون (مطعم للمأكولات البحرية) كان من أكبر المطاعم الموجودة على البحر وكانت رواده من أصحاب السيارات الفارهة والبيوت الجميلة وذلك بحكم عملهم في البحر حيث حفارات البترول وهكذا ، ولأنني دائما شخص طموح أطمح أن أكون غنيا وعندي الامكانات الكبيرة لكنني لست حقوداً فأغراني طموحي أن أكون واحدا من هؤلاء بدلاً من أكون الشيف الذي يصنع لهم الطعام ، فأخذت أوطد علاقاتي معهم واحد بعد آخر وأخذت أسأل عن كيفية الالتحاق بالعمل معهم فأخبرني أحدهم أنه يتوجب عليّ أن ألتحق أولا بالكلية المختصة بذلك ومن ثم أحصل على كورس إنقاذ وبعدها أبحث عن شركات مختصة بهذا

الشأن ، وبالفعل أخذت أبحث عن هذه الكلية حتى التحقت بها لمدة عامين وبعدها حصلت على كورس الإنقاذ الذي كان صعبا للغاية لكنني اجتزته بنجاح والحمد لله ، وبعدها أخذت أبحث عن الشركات التي تؤهلني للعمل في البحر على حفارة للبترول ، أذكر حينها أن عدد الشركات كان يتعدى الثلاثين شركة وكنت أطوف على كل هذه الشركات كل صباح ، عند شروق شمس كل يوم أطوف على هذه الشركات أبحث عن عمل تابع لها في بحر الشمال ، وفي يوم من الأيام وأنا أطوف على هذه الشركات إذ بسكرتيرة إحدى الشركات التي تستقبلني كل صباح تبتسم في وجهي وتقول (تعالى مستر جاد لقد وجدتَ ما تبحث عنه ، لقد جاء المدير وسألني عن رجل يعمل في الشركة ويكون جاداً ويتحمل المسؤولية ، ولأنك حريص على العمل معنا فأنا قد رشحتك له) وعلى الفور أبلغتْ المدير بوجودي وتمت المقابلة بيننا وعرض علي العمل بالشركة مقابل ثمانية وثلاثين ألف جنيه استرليني في السنة ،ونظام العمل في الشركة عبارة عن ثمانية وعشرين يوما على الحفارة ومثلهم إجازة بالبيت وهذا هو العقد موافق؟ فقلت له اعطني القلم فورا لأوقع العقد ، وتمَّ بالفعل ما كنت أحلم به ؛ أن أعمل على حفارة للبترول في بحر الشمال ، وعلى الرغم من أنه كان حلماً جميلاً وتحقق وحصلت من وراءه على أموال كثيرة إلا أنني عانيتُ في عملي هذا عناءً شديداً حيث كان العمل عبارة عن ثمانية وعشرين يوما على الحفار ومثلهم في المنزل إلا أنني لم أقض هذه الأيام بالبيت

فكنت أعمل أيضا عند جون وكريسي بمقابل مائتين وخمسين جنيها استرليني ، وكنت سعيدا بذلك جدا لكنها كانت حياة صعبة للغاية لاسيما على الجانب الأسري فأنا والد لثلاثة أولاد (شريف ، سالي ,هنا) وزوجة مما سبب ذك ابتعادي عنهم معظم الوقت ولكنني اكتشفت أنها على علاقة برجل آخر فلما واجهتها بهذا الأمر اعترفت وقالت بالفعل أنا أحب شخص آخر وأريد الانفصال ، الأمر الذي سبب لي صدمة كبيرة على أثرها نزلت إلى مصر وتحدثت مع الدكتور رمضان وإخوتي جميعاً ، فما كان منهم إلا

أنهم عاتبوني على ردة فعلي هذه وقالوا كما يقال بالمصري (تتجوز ست ستها) وبعد أيام قليلة قضيتها في مصر بين الإخوة والأحباب ،سافرتُ من جديد إلى انجلترا وهناك وبمجرد وصولي إلى محل إقامتي جاءني خطاب محكمة ،جاء في مجمله أنّ الزوجة تريد الطلاق ، فقمت بتوكيل محامي وسعى في إجراءات الطلاق والتي منها أنها تتحصل على نصف ممتلكاتي ، هكذا يقول القانون الانجليزي، علما بأنها لم تكن تعمل أو تكتسب مالا من أي جهة طوال فترة الزواج ، وكنت أنا المسؤول الأول والأخير عن المصروفات حينها قال لي المحامي (أن أغلب النساء هنا يؤذون الأزواج في الطلاق كثيرا) وأشرت على القاضي بأنني سوف أشتري حقها وهو عبارة عن نصف المنزل والمطعم؛ لأن هذا مصدر رزقي فاقتنع بذلك وحكم لي فاضطررت أن أقترض من البنك لكي أدفع. وأصبحتُ وقتها أنه من الواجب عليّ أن أشتري منها نصف بيتي ونصف مطعمي من جديد ،وحرمت من أولادي الثلاثة فلم أعد أراهم إلا بعد عناء طويل

،رغم أنني حصلت على حكم من المحكمة برؤيتهم كل يوم جمعة و سبت بالإضافة إلى خمسة أسابيع في العام أسافر بهم إلى مصر ، لكن هذا الحكم تبخر في الهواء لأنها أخذت تحرضهم على عدم رؤيتي وتفتري عليّ الأكاذيب حتى يكرهونني، وبالصدفة كان في نفس هذا الوقت رجل مصري خطف أولاده الأجانب إلى القاهرة وانتشرت الشائعات وقتها أنه يعذبهم ويعاملهم بقسوة فترسخت هذه الصورة في أذهانهم ؛ فكنت أراهم خلسة وعلى فترات دون أن يشعروا بي. والله إنها حقاً لضربة تقسم الظهر ، لكنني تجاوزت هذا فيما بعد بفضل الله تعالى ثم إرادتي وعزيمتي ،أمّا على الجانب العملي والمهني فلقد بدأ هذا منذ اللحظة الأولى لي في هذا المجال وهذا النوع من العمل ، أذكر أنني حينما أعددت العُدة للذهاب إلى الحفارة وركبت الهيلوكوبتر ماهي إلا ساعات معدودة وأخذت أتقيأ بطريقة صعبة جداً، الأمر الذي جعل رؤسائي في العمل يستدعون الطبيب ، لأن حالتي كانت صعبة جداً ؛ فقال الدكتور لابد أن يُنقل إلى المستشفى فوراً ،وبالفعل جاءت الهيلوكوبتر ونقلتني إلى مستشفى في جريت يارموث؛ لأنها كانت أقرب مكان به مستشفى ، وهناك زارني مدير الشركة وأخذ يسألني ما بك؟ وأنا أقول لست أدري (مش عارف) !!! فقال ؛ عندي سؤال لك يا عصام! قلت له تفضل ، فقال (هل ركبت هيلوكوبتر من قبل؟) فقلت لا ، فضحك الرجل وقال هو ذاك ، هذا هو السبب وأخذ يحكي لي ما حدث له أيضاً عندما ركب الهيلوكوبتر للمرة الأولى، وكان هذا هو أول موقف عصيب في رحلة عملي في شركات البترول التي ظلت سنين كثيرة، أعيش ثمانية وعشرين

يوماً في مدينة من الحديد وسط البحر لكن أيقنت أنه لابد لكل شيء من نهاية ، وحتى تتأكد من كم الصعاب والمشاق التي قابلتها وعشتها في عملي على الحفارة أترك لك التعليق على ما حدث معي في هذا المشهد العصيب؛ لك أن تتخيل معي عزيزي القارئ مدى المخاطر التي تحيط بي وأنا على هذه الحفارة التي تقوم من خلال معدات ثقيلة جداً وضخمة جداً بالحفر في أعماق البحر للبحث والتنجيم عن البترول وفي يوم ما كنت أقوم بتجهيز بعض المواسير الضخمة لوضعها على مركب بجوار الحفارة وماهي إلا لمسة بسيطة جداً في قدمي من كتلة حديدية يقرب وزنها من خمسة أطنان تورّمتْ بسببها قدمي ولولا فضل الله لكانت في خبر كان، وعلى الفور تم نقلي إلى المستشفى للعلاج ودامت فترة علاجي ما يقرب من خمسة أشهر وبعد مرور خمسة اشهر من هذا الحادث حدث حريق فيحفاره من نفس الشركه وتوفي كل من فيها منهم خمس افراد كنت اعرفهم معرفه شخصيه وبعد فتره ابلغتني ابنتي(مها)انها شاهدت فليم سينمائي عن الحفارات(كانت قصة الحفارة التي احترقت) ومكثت ابكي طوال الليل ، وأثناء هذه الفترة قررت أن لا أعود للعمل هذا مرة ثانية وحمدت الله تعالى على هذه الحادثة البسيطة التي نجاني الله منها .

أول أسباب الفشل
هي خوفك من الفشل...

بعد قرار ألّلَا عودة الذي اتخذته بعدم الرجوع للعمل على الحفارة ، أخذت أفكر فيما هو قادم ، ماذا أعمل؟ فنزلت منطقة سكني (نورفكشر) ودرست المنطقة جيداً وبعد بحث عميق تبين لي أن المنطقة بأكملها خالية من الأكلات الشرق أوسطية ؛ فأتتني فكرة مطعم يقدم مأكولات شرق أوسطية عبارة عن (كباب ، كفتة ، شاورما) وفرحت جداً بهذه الفكرة وسارعت في تطبيقها وقمت بشراء بيت بهذه المنطقة وهيأته ليكون مطعم samy's house kabab)) مطعم سامي للكباب والمأكولات الشرقية ، لكن لابد من وجود عقبات تقف عائقاً في الطريق وفي المقابل لابد للناجح أن لا يخشى هذه العقبات ولا يفكر بالفشل قبل وقوعه ؛ فهذه هي بداية الفشل ، وكانت العقبة الوحيدة في طريقي نحو هذا المشروع هو أنني لا أعرف طريقة عمل (الشاورما) أي نعم أنا ماهر في طهي الكباب والكفتة لكن الشاورما لا أعرف عنها شيئاً ، ولكي أزلل هذه العقبة أمامي قررت السفر إلى مصر لكي أتعلم طريقة طهي الشاورما ، إلى هذا الحد؟!! نعم إلى هذا الحد وأكثر ، فأنت عزيزي الشاب ينبغي لك أن تحذف من قاموسك كلمة (لا أستطيع) فهي عبارة عن حائط سد تضعه بنفسك حائلاً بينك وبين حُلمك وهدفك ؛ فخذ من تجربتي هذه مثالاً على ذلك ، وخذ أيضاً هذا الطالب الكولومبيَّ

وما صنعه مثالاً على ذلك فما هي قصة هذا الطالب؟؟! طالبٌ في جامعة كولومبيا وقد نام أثناء محاضرة رياضيات رغماً عنه بسبب إرهاقٍ ألمَّ به ثم استيقظ على صوت الطلبة عند انتهاء لمحاضرة ، .. وقد رأى على السبورة مسألتين.. فقال في نفسه لابد أن الدكتور قد أوصى بحل هاتين المسألتين ، فما كان منه إلا وقد كتب المسألتين في كشكول محاضراته وعزم على حلهما عندما يعود إلى البيت

وبالفعل عندما عاد إلى بيته أخذ يحاول في إيجاد حلِّلهاتين المسألتين فوجد صعوبة بالغة جدا،لكنه أخذ يحاول ويحاول ويذهب الى المكتبة ليأتي بالمراجع وينظر في الأبحاث وبعد جهد مضنٍ منه ما يقرب من شهر تقريباً لم يستطع إلا على إيجاد حلٍ لمسألَة واحدة فقط، ولما جاء الدكتور ليلقي عليهم المحاضرة ، أخذ الطالب يسأل نفسه لماذا لم يسأل الدكتور عن حل المسألتين؟

فقام وسأله: يا دكتور حضرتك لم تسأل عنالمسألتين ؟ فقال الدكتور مستغرباً أي مسألتين ؟ قال الطالب مسألتين كنتَ قد كتبتهما على السبورة لكنني لم أنتبه لشرحك عليهما لأنني قد غلبني النوم فنمت وها أنا ذا قد أعددتُ حلاً لمسألة واحدة فقط .

أخذ الدكتور يضرب كفَّاً بآخر ويقول أنا لم أطلب منكم حلاً لهاتين المسألتين إنما أنا ضربتُ بهما مثالاً على المسائل التي عجز العلم عن إيجاد حلٍّ لها

اندهش الطالب وقال: لكنني استطعت أن أجد حلاً لواحدة منهما! وتم تسجيل حل المسألة في جامعة كولومبيا وعُرفتْ باسمه إلى اليوم .

الشاهد من وراء هذه القصة أن الطالب لم يسمع من لدكتور أن العلم قد عجز عن إيجاد حل للمسألتين؛ فلا تستمع لمن يحبطك ويقول لك لن تستطيع ولو كانت نفسك التي بين جنبيك .
أما أنا فقد ذهبت لأشهر المطاعم المتخصصة في هذا المجال، وفي طنطا تحديداً ذهبت لأحد المطاعم وقلت للرجل صاحب المطعم، أريد أن أتعلم عندك طريقة طهي الشاورما فنظر إليّ الرجل نظرة تعجب واستغراب وأخذ يرمقني من الأعلى للأسفل وكأن عينيه تقول (كيف لهذا الرجل الشيك حسن الثياب أن يعمل عندي في المطعم) ؟!! لكنني أقسمت له أنني سألتزم بالعمل معه حتى أتقن الطريقة أبلغته عن السبب الذي دفعني إلى ذلك فقلت له إنني أفتتح مطعماً في انجلترا وأريد ان أتعلم طريقة طهي هذه المأكولات فوافق الرجل وتعلمت الطريقة وأصبحت ماهراً جدا فيها ، وعندما تأكدت من قدرتي على هذا الأمر أبلغته أنني مسافر إلى انجلترا لأفتتح المطعم هناك ؛ فتأثَّر الرجل كثيراً وقال لي: لا تقطع حبل الود بيننا ، إذا نزلت مصر مرة ثانية فتعالى سلم علي ولا تحرمني رؤيتك؛ فعاهدته على ذلك ، حتى أنني لما نزلت مصر بعدها كنت أذهب إليه لأسلم عليه وكان شديد الفرح برؤيتي، على أية حال سافرت إلي انجلترا وقمت بافتتاح المطعم في جريت يارموث ووضعت عليه اهرامات وديكور جميل وأبو الهول على الرخام وكانت شهرتي سامي وقبل يوم الافتتاح بعض الأصدقاء كانوا يقولون لي (قم بطبخ اللحم نص سوا وخلص نفسك)فكنت أقول لهم لابد أن يكون عملي على أحسن وجه ، وبعد أربع ساعات فقط من بدء الافتتاح بعت كل ما عندي وبفضل الله تعالى أخذ شهرة كبيرة جدا وأصبحت رقم

واحد في هذا المجال لدرجة أنّ زبائني كانت من هولندا ومن كل البلدان فكان أشهر مطعم في منطقة شرق انجلترا بأكملها لدرجة أنه كانت هناك زبونة حامل ومن شدة حبها في المكان أنجبت طفلا وأسمته سامي حتى الأطفال كان يعشقون المكان. وبحمد الله تحصلّت على أموال كثيرة جداً وكنت محبوباً جداً لأسباب كثيرة منها ؛ أنني كلما ركبت السيارة ورأيت أحداً ينتظر تاكسي أو أتوبيس كنت أوصله معي بالسيارة ، وكذلك كنت لا أمشي على قدمي في مكان إلا وبجيبي بعض الحلويات فكنت أوزّع منها على الاطفال المارة فكانوا يحبونني جدا جدا وهذا من فضل الله عليّ ولله الحمد.

امرأة تزوجتها .المصرية قرارات خاطئة

إنني أتعمد أن أطلق على هذه الفترات من قصة حياتي بالقرارات الخاطئة ؛ لكي تدرك عزيزي القارئ أنني لم أعش حياةً مثالية ؛ ولكي تدرك أيضاً أنّ الحياة إنما هي مجرد آلة عود والأيامُ فيها هي الأوتار وهذه الأوتار منها الأبيض ومنها الأسود ولكي تعزف سيمفونية حياتك لابد أن تمر على الأبيض والأسود ، هكذا تعلمت من خلال رحلتي في هذه الحياة .
ومن ضمن هذه القرارات الخاطئة التي اتخذتها وندمتُ عليها فيما بعد ؛ هو زواجي من زوجتي الثانية فبعد أن تم الطلاق بيني وبين زوجتي الانجليزية لم يمض إلا عام واحد فقط على هذا الأمر ، وفي زيارة قصيرة لمصر ، وجدت الإخوة هناك من صغير وكبير يحثني على الزواج من جديد ، كلهم يرددون نغمة واحدة (أنت ما زلت صغيراً) ابحث عن زوجة تعوضك ما فاتك وأصبحتُ أمام ضغط عالي لا أستطيع مقاومته ؛ فاستسلمتُ وقلتُ لهم ابحثوا لي عن زوجة مناسبة ، حينها قال لي أخي حسن (رحمة الله عليه) : (عندي لك عروسة جميلة جداً وقريبتنا) فسألته عنها ؛ وأخذت أسأل عنها وعن أسرتها حتى تحصلت على رقم تليفون خاص بالبيت وبعدها سافرت إلى انجلترا ولم يمض وقت كثير حتى قمت بالاتصال على هذا الرقم فقامت (...) بالرد عليّ وكان هذا هو أول حوار يدور بيني وبينها ..
أنا: ألو ؟!

هي: ألو مين ؟!!
أنا:أنا عصام جاد.
هي: عصام !!؟ آه افتكرتك انت اللي متجوز واحدة انجليزية؟
أنا: ممكن أكلم ماما؟
هي: أه طبعا.. وأعطت التليفون لوالدتها واخذتُ أتكلم معها وأثناء حوارنا معاً اكتشفتُ أنها على علم بأنني طلقت زوجتي الانجليزية فبمجرد أن ذكرت لي هذا الأمر قلت لها: لأجل ذلك أنا أتحدث معكِ، أريد منكِأن تبحثي لي عن زوجة ؛ فقالت أنا!! لقد كبرت على هذا الأمر ولم يعد بوسعي أن أحقق لك هذا الأمر ، فقلت لها أنا أريد أن اتزوج ابنتك (...) فكل الناس من حولي قد رشحوها لي.
في هذا الوقت يجلس بجانبها زوجها فسألها عن الأمر فقالت له: هذا عصام ابن الشيخ عبد العظيم جاد يريد أن يتزوج ابنتنا (...) فسمعتُ الرجل يقول ابن الشيخ عبد العظيم!!! (دا شرف كبير ، دا احنا نجوزها له ونتقالها دهب ونديها له) وعند انتهاء المكالمة طلبت من والدتها أن أتحدث مع (...) فأعطتها سماعة التليفون وعرضتُ عليها أن نحاول التعرف على بعضنا فإن كان لنا نصيب في الزواج تزوجنا ؛ فوافقت وأخذنا فترة نتحدث كل يوم على الهاتف وصارت علاقة طيبة إلى حد ما ، وفي هذه الأثناء كنت قد كلفتُ أخي (عادل) بكافة الأمور والعادات الرسمية بأن يأخذ عمي ويذهبا لوالدها ليطلب يدها للزواج مني ، وبالفعل قام عادل بهذه الأمور واتفقوا نيابة عني على كل شيء ، كنت امتلك شقة في الإسكندرية لتكون مسكن الزوجية المؤقت لأنني كنت قد اتفقت مع عمي سليمان أن لا يطلب من أهلها أي

شيء فأنا سأتزوج وأسافر إلى انجلترا فلا أريد أي شيء منها حتى الملابس فقد اشتريتها لها من انجلترا . وما هي إلا فترة قصيرة جدا لا تتعدى الأربعة أشهر هي مدة الخطوبة بيني وبينها وتم الزواج بسلام .

أثناء شهر العسل ...

في الإسكندرية عروس البحر الأبيض المتوسط وبعد أن تمت مراسم الزواج بيني وبينها وقبل السفر مجدداً إلى لندن ،اكتشفت الحقيقة المرة التي لم أعرفها إلا بعد زواجنا ألا وهي (إخوة زوجتي) الذين يحملون كل الصفات السيئة والخسيسة فأنا لم أكن أعرف إلا (امها) أما بعد أن تزوجنا وتعرفتُ على إخوتها حدثت لي صدمة كبيرة عند معرفتي بهم ،كيف لي أن أربط إسمي واسم عائلتي بمجموعة من أمثال هؤلاء؟؟ أذكر يوما ونحن ما زلنا في الإسكندرية حدث بيني وبينها حوار لم أنسه إلى اليوم لأن هذا الحوار كان سبباً رئيسياً فيما وصلنا له بعد ذلك..

ذات ليلة كنت أجلس وحدي ساكتاً ولا أتحدث معها ؛ فأخذتْ تسألني ما بك؟ وأنا أجيبها أن لا شيء لكنها صممت وأقسمتْ أنّ هناك أمراً أخفيه عنها، وإذ بها تقول لي : أنت على هذه الحال منذ أن رأيت إخوتي ، قل لي ما بك؟ فقلت لها لو كشفتُ لكِ عمّا بداخلي لن تكوني على ما يرام ؛ فقالت لا سأكون بخير ولن

يتغير شيء بيننا ، ثمّ بادرتني بسؤال قائلة : أخبرني يا عصام ، لو أنك كنت على علم بحال إخوتي وما هم عليه من أخلاق هل كنت ستتزوجني ؟؟ ولأنني دائماً لا أحب أن أكذب أو أتجمل ، أقول ما يدور في عقلي وما يسكن بفؤادي؛ أجبتها قائلاً : أبداً لم أقدم على الزواج منكِ، لكننيشعرتُ أنّ شيئاً بداخلها قد انكسر؛ فحاولت الخروج من هذا الحوار بكلمات تطيبُ من خاطرها قائلاً (قدر الله وما شاء فعل): على أية حال ها نحن قد تزوجنا وأصبح أمراً واقعاً فعلينا أن نتجنب كل هذه الخلافات لاسيما ونحن سنترك مصر بما فيها وسنسافر إلى انجلترا وهناك نحاول أن نرفع من شأننا ونترك كل هذه الحياة حلوها ومرها في مصر وبالفعل قضينا في مصر ثلاثة أسابيع فقط وبعدها سافرنا إلى انجلترا

عصام جاد الزوج...

إنا الرجلَ الطامحَ لمستقبلٍ مشرقٍ ويأملُ في تكوين أسرة قوية متماسكة عليه أن يعي جيداً قدر الزوجة في بيته وأن يرفع من شأنها ويُعلي دائماً من قيمتها لاسيّما إن كان يحبها ، فإن لم يكن يحبها فمن أجل أولاده ؛ فالأم إن كانت قوية بعلمها ومنصبها سيكون ذلك قوة لأولادها بعد ذلك ، وهذا الدرس تعلمته حينما كنت طفلاً صغيراً في قرية أبو الغر حينما فتحتُ عيني على الدنيا وجدتُ أمي إنسانة ضعيفة أمّية الأمر الذي جعلها تعاني كثيراً في تربيتنا رغم أنها كانت تحمل كل الصفات الجميلة ؛ لأجل ذلك صممتُ أن تكون أم أولادي أماً قوية حتى لا

تُهان ولا تعاني مثلما عانت أمي الحاجة نجيّة (رحمة الله عليها) وبالفعل في يوم من الأيام قالت لي (...) لقد مللتُ من الجلوس بالبيت أريد أن أعمل فوافقتها على الفور وقلت لها: جميل تعالي معي إلى المطعم استقبلي الزبائن وتحدثي معهم حتى تتمكني من إجادة التحدث باللغة الانجليزية وبالطبع وافقت وظلتْ معي بالمطعم فترة ليست بالطويلة وأصبحت متمكنة من اللغة هذه خطوة ، أما الخطوة الثانية قالت لي يوماً أنا حاصلة على بكالريوس تربية قسم بيولوجي وأريد أن أعمل بهذا التخصص فأخذتها إلى الجامعة حيث كلية العلوم أن يطلعوها على المعلومات الخاصة بعمل ماجستير في هذا المجال ، وبالفعل أدخلوها المعامل وكانت هذه اللحظة صادمة لها حيث أنها لم تر مثل هذه الأدوات من قبل وليست عندها القدرة على استيعاب الدراسة فتراجعت عن الفكرة أما أنا فكان عندي كل الاستعداد على دفع أي مبالغ لإتمام هذه الدراسة.

وبالفعل وافقتها على هذا الطلب وأخذتُ أبحث لها عن مكان تعمل به بنفس هذا التخصص ؛ فوجدت لها عملاً في وزارة التربية والتعليم كمدرس احتياطي وعملت مدرسة في إحدى المدارس كاحتياطي لأي مدرس تحدث له ظروف خارجة عن إرادته . أمّا الخطوة الثالثة : قالت لي أريد أن أحصل على ماجستير ودكتوراه فوافقتها على هذه الفكرة وقلتُ لها أنا معكِ لآخر نقطة تريدين الوصول إليها حتى لو أردتِ الصعود إلى القمر؛ فتعجبتْ من كلامي وقالت لماذا كل هذا؟؟ فقلت لها لأنكِ ستكونين أمّاً لأولادي وأنا أريد أنْ تكون أمهم سيدةً قوية لا تُهان من بعدي أبداً.

شادي و مها...

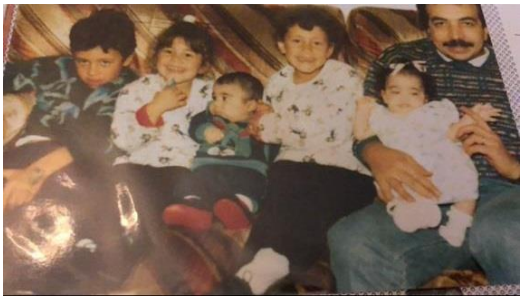

انتهى حوارنا هذا حول الماجستير والدكتوراه ونمنا وأثناء نومي رأيت رؤية جميلة جداً ، رأيتُ أنها قد حملت بطفلين ولد وبنت وسميتهما في الحلم شادي ومها واستيقظت من نومي فرحاً ودعوت الله تعالى أن يحقق لي هذا الحلم ، قلتُ يا رب قد كان لي ولد وبنتين فحرمتني منهم ولم يعد لي صلة بهم يا رب عوضني خيراً ولكنني لم أخبر زوجتي بهذه الرؤية إلا بعد أن حملت وفي يوم من الأيام تعبت وذهبنا للدكتور وهناك رأيت كرم الله تعالى وفضله عليّ عندما قال لنا الآن عرفت سبب ألمك ، أنتِ حامل في توأم حينها أخبرتها بهذا الحلم الذي رأيته وقلت لها لقد رأيتُ أنكِ حامل في ولد وبنت وسميتهما شادي ومها فتعجبت كثيراً وقالت وسميتهما أيضاً!!.واكتملت شهور الحمل بسلاموأمان ورزقني الله تعالى بشادي ومها.

ثم بعد ذلك بدأت رحلة الحصول على الماجستير والدكتوراه في فن التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة؛ فانظر ما ذا كان مني كزوج ووالد لطفلين، أول شيء فعلته اشتريت لها سيارة تذهب بها إلى الجامعة التي تبعد مسافة أربعين كيلو مترا عن البيت ،

وقمت بتأمين السيارة ومهدتُ لها كل طريق وسهلت عليها كل عسير ، فكانت تخرج في السادسة صباحاً وتترك لي شادي ومها أقوم بكل المهام نحوهما من طعام وشراب و لعب وكل شيء حتى ينتهي يومها الدراسي وتأتي فتجدني وقد أعددتُ لها الطعام وهيأت لها كل شيء في البيت وفي الخامسة عصراً أنزل لأمارس عملي في المطعم حتى الواحدة ليلاً وظلّت الأمور هكذا ما يقرب من سبعة أعوام أقوم بكل هذه المهام بكل ود وحبٍّ ووئام إلى أن جاءت اللحظة المشؤومة التي تحولت بسببها حياتنا إلى جحيم.

شبح الخوف يطاردنا من جديد...

هو بالفعل شبح ، إنسان في الهيئة لكنه مجرد من كل خصال الإنسانية ، يحمل من اسمه صفته ؛ فكان اسمه (...) يقدر على النصب والتزوير وفعل كل ما هو غير أخلاقي لدرجة أنه ذهب إلى السفارة السويدية في مصر وأحرق جسده بالسجائر واتهم بلده مصر بأنّ الحياة فيها صعبة وأن الحكومة المصرية تقوم بتعذيب مواطنيها وعليه؛ طلب لجوءً سياساً إلى السويد فقبلوه ورحلّوه إلى هناك فكان هذا الأمر هو أول مسمار في نعش الحياة الزوجية السعيدة التي أعيشها مع زوجتي (....) لأن هذا الشخص عندما سافر إلى السويد أخذ يهبط علينا كل شتاءٍ بكل

ما يحمله من مشكلات ومصائب وكأنّ الشتاء والبرد القارس الذي يحدث في السويد كل عام ينزل على رأسي أنا وحدي ؛ فتوترت العلاقة بيني وبينها بسبب أخيها هذا لاسيما وأنها أخذت تتردد عليه وتقوم بزيارته بين الحين والآخر ؛ فأخذتُ أقلب الأمر بيني وبين نفسي وأفكر في الخلاص من هذا الكابوس ففكرتُ أن ألتحق بالجامعة التي تدرس بها (...) لأحصل على كورس تربوي يقوم بالإصلاح بين الأزواج وحل الخلافات الزوجية وخلافه ويكون بيتنا هو المسكن خاص بالجامعة حتى نبتعد عن هذا الشبح الذي يهدد استقرار حياتنا، لكنني دون أن أشعر دفعني الهروب من (....) شقيقها إلى قدر أسوأ منه واتخذتُ قراراً آخر خاطئاً من ضمن القرارات الخاطئة جداً التي اتخذتها في حياتي وهو أن أقوم بعرض البيت والمطعم للإيجار ، وبالفعل قمت بالاتصال بأحد السماسرة لكي أبلغه أنني أقوم بعرض بيتي ومطعمي للإيجار ، في هذه اللحظة كان بجانبي لص ونصاب اسمه سعيد، مصري جاءني منذ فترة عطفتُ عليه وأكرمته ووفرتْ له عملاً في المطعم فلما سمع كلامي مع السمسار أخذ يستعطفني ويقول أنا أولى من الغريب ، أنا مصري مثلك ومسلم مثلك أيضاً ؛ فوافقت وقمت بكتابة عقد

إيجار له بالمطعم والبيت وتركت له البيت بكل ما فيه لم آخذ منه شيئاً ، ومضى شهر والثاني وفي الثالث تأخر في دفع الإيجار فاتصلت عليه مرة بعد أخرى فقام بالرد عليَّ وقال لي بكل سفالة ووقاحة لن أعطيك شيئاً بعد اليوم وأخذ يسبني وأنهى المكالمة وأغلق الخط في وجهي ؛ الأمر الذي جعلني في قمة الصدمة فعاودت الاتصال به ورددتُ عليه السباب والشتائم لكنه

كان لصاً ذكياً فكان يتصل عليّ من تليفون خارج بيته الذي هو ملكي ويسبني ويشتمني وأنا أقوم بالاتصال على رقم البيت الذي استأجره مني فكان يسجل كل المكالمات التي أشتمه فيها وأخذ يجمع كل هذه المكالمات وتوجه إلى قسم الشرطة ورفع ضدي قضية سب وتهديد ، وهذا في القانون الانجليزي جريمة كبيرة ، وفي يوم من الأيام وأثناء تواجدي في بيتي الخاص بالجامعة إذ بالباب يُطرق ففتحته فإذ بضابط يسألني أنت مستر جاد؟ فقلت له نعم ؛ فقال فلان رفع ضدك دعوى قضائية يتهمك فيها بكذا وكذا، لكنه أول ما ذكر اسمه علمت أنّه أحدث ضدي أمراً عظيما، لكنّ الضابط كان لطيفاً جدا في تعامله معي وقال يجب عليك الحضور إلى قسم الشرطة غدا بصحبة محام ، وفي صباح اليوم التالي توجهتُ إلى قسم الشرطة وهناك قامًوا بعرض الشرائط المسجلة لي من خلال هذا النصاب سعيد ، فاعترفت وقلت بالطبع هذا انا لكنني لم أقم بسبه وتهديده إلا بعد أن بدأ هو بشتمي وسبي ؛ فقاللي الضابط : هل عندك ما يثبت ذلك ؟ فقلت لا ؛ فقال : للأسف مستر جاد سنحرر ضدك قضية بهذا الأمر عليك المثول أمام القاضي في اليوم الفلاني؛ فبحثتُ عن محام فوجدت محامية حضرتْ معي أول جلسة ، وهناك وجه لي القاضي الاتهام وقال هذا أمر عقابه جسيم جداً ، فأخذتُ أشرح له الأمر بالتفصيل وذكرتُ له كل ما حدث بيني وبين هذا النصاب منذ اللحظة الأولى وطلبت منه أن أستدعي شهوداً يشهدوا على صحة كلامي وأن يوضحوا حقيقة شخصيتي وشخصية هذا اللص؛ فوافق القاضي ؛ فقمت باستدعاء بعضاً من أصدقائي منهم فنان كبير جداً وعميد كلية وامتثلا أمام القاضي وشهدوا على صحة كل ما قلته وبناءً

عليه قال لي القاضي : مستر جاد أنا سأكون رحيم بك وسأعطيك حكماً مخففاً دون غرامة ولا سجن ولا أي شيء من هذا القبيل لكنني سأحكم عليك ب 100 ساعة خدمة مجتمع وهو عبارة عن العمل لمدة 100 ساعة في أي مشروع خدمي ، ووجهني إلي سيدة مختصة بالخدمات الاجتماعية وقال : اذهب إليها وستعرض عليك بعض الأعمال التي يمكنك القيام بها ؛ فذهبت إليها وسألتها عن الأعمال المتاحة لديها ؛ فقالت هنا في نورتش بيت لذوي الاحتياجات الخاصة ويحتاج لشيف ؛ فوافقت على العمل بهذا البيت لمدة عشرين يوماً كل يوم خمس ساعات ، لكن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد، لكنني أثناء هذه المدة مع الأطفال تعلقت بهم كثيراً فلما انتهت المدة الخاصة بي قلت للسيدة المختصة أنا أريد أن أستمر معهم لمدة أخرى ؛ فتعجبت مني وقالت مستر جاد لقد انتهت مدتك ولا داعي لوجودك ؛ فقلت لها أنا أريد أن أظل هنا لوقت آخر، وبالفعل استمر عملي في هذا البيت لمدة ثلاثة أشهر كنت مستمتعاً بتواجدي مع هؤلاء الأطفال كثيراً.

الجزاء من جنس العمل...

بعد أن أنهيتُ مدة الحكم الذي قضى به القاضي عليَّ ، طلبت من المحامية أن ترفع ضد هذا النصاب قضية لأسترجع بيتي ومطعمي،واستغرق هذا الأمر بيني وبينه عامين كاملين في المحاكم ، عامين كاملين ينهب مالي ولا يعطيني منه شيئاً ، لكنّ الله تعالى لا يرضى بالظلم أبداً ؛ فهذا اللص كان يأخذ من مالي ويرسله إلى إخوته في مصر لكي يشتروا به عقارات وسيارات وبعد أن خاف على نفسه وشعر أنه سيخسر القضية أمامي فرّ هارباً إلى مصر؛ فإذ به يجد عاقبة ظلمه من أقرب الناس إليه ؛فكل الأشياء التي اشتراها إخوته بمالي حرموه منها وطردوه ولم يتحصل على أي شيء مما أخذ مني.

حينها علمتُ أنّ الله تعالى لا يرضى بالظلم أبداً وأنه لا يغفل عن عباده ظالماً كان أو مظلوماً. وبالرغم من أنني تخلصتُ نسبياً من الضغط الذي سببه لي (...) وهذا اللص سعيد ؛ قررتالعودة إلى مصر من جديد وقلت لنفسي يكفي غربة وشقاء وعناء إلى هذا الحد ، وبالفعل عدتُ إلى مصر أحاول ان أتأقلم على حياة من جديد وأحاول مع أبنائي أن يتأقلموا عليها ، وفي هذا التوقيت جاءني اتصال من شخص ما يقول أنّ (....) شقيق زوجتي محبوس في قسم شرطة كفر الزيات على ذمة قضية بلطجة بينه وبين أبناء زوجته ، فأخذت (....) وتوجهنا إلى قسم الشرطة ولحسن الحظ كنت على علاقة طيبة بمأمور القسم وبعد حوار لطيف بيني وبينه نصحني أنْ أجعل اخوها هذا بعيداً عن مصر

لأننه سيدخل في صراعات كبيرة لن تنتهي وسيكون مصيره السجن لا محالة، فقبلتُ منه هذا النُّصح وبناءً عليه سمح لنا أن نصحبه معنا دون أن يدخل في تحقيق من قِبَل الشرطة دون تحرير محضرٍ ودون قضيةٍ في محكمةٍ ولا أي شيءٍ من هذا القبيل ، وبعدً أيام حاولت أن آخذ بنصيحة مأمور القسم محاولاً إبعاده عن مصر وعن هذا المستنقع العفن الذي يتقلب فيه ليل نهار ؛ فقمت بالاتصال بأخيه الذي يعيش في السويد وطلبتُ منه أن يرسلَ دعوةً لأخيه (...)،وقلت له انقذه مما هو فيه لأنه لو استمر في مصر سينتهي به الأمر في السجن ؛ فأرسل له دعوة إلى السويد ، وماهي إلا فترة بسيطة جداً لم يتحمله أخوه وحجز له تذكرة طيران إلى مصر دون أن يعطيه جنيه واحد، ولم يكن معه إلا ملابسه التي يرتديها فوق جسمه، كل هذا أذكره لكي أوضح لك حجم الكارثة التي عشتها منذ أن تعرفتُ على هؤلاء الصنف من البشر ، لم يكن لابن الشيخ عبد العظيم جاد (عليه رحمة الله) أن يكون على علاقة بهؤلاء وأن يكون بينه وبينهم تعامل على الإطلاق ، حاولت كثيراً أن أبتعد بزوجتي وأولادي عنهم ؛ لكنني في كل المحاولات فشلت ، أذكر أنني لما قررت الاستقرار في مصر هرباً من (...) ؛ وجدتُ الأمر في مصر يزداد سوءاً فقررتُ الرحيل مرة أخرى إلى لندن، وبالفعل عدنا إلى هناك لفترة ليست بالطويلة وكان من أهم الأسباب التي جعلتني أترك انجلترا من جديد ؛ أنّ (...) قرأتْ في مجلة علمية إعلاناً أن جامعةً الامارات العين تحتاج إلى دكتور متخصص في نفس مجالها ؛ فعرضتْ الفكرة عليَّ وأخذتْ تشجعني عليها وقالت إنها بلد راقية وبها جامعات راقية والمنظومة التعليمية متقدمة

ومميزة بها كثيراً، والحياة هناك ليست أقل بكثير من انجلترا بل إنها تفوقها من حيث أنها بلد مسلم وسنتأقلم هناك سريعاً ؛ فوافقتها على هذا الاقتراح لكنني لم أخذ القرار ببيع البيت والمطعم في لندن ، وقلت أجرب الحياة هناك أولاً ، هل سأستطيع التأقلم على الحياة هناك ؟ أم أنني سأرجع من جديد إلى لندن؟ ولأجل ذلك عرضتُ البيت للإيجار فقط، وقمت بإغلاق المطعم لحين اتضاح الصورة أمامي بشكل كامل ، وجاءت لحظة السفر إلى الإمارات تحديداً إلى (الامارات بالعين) حيث أنّها ستعمل كدكتورة في جامعة العين ، وبعد أن استقر بنا الحال هناك والتحق كل من شادي ومها بمدرسة انجليزية لدراسة الإعدادي والثانوي وكان لديهما أصدقاء وتعلموا اللغة العربية والدين والصلاة وكنت حريصا على هذا وكنت في راحة نفسية كبيرة لأنني كنت خائفا من فقدهما كما

فقدت شريف وسالي وهنا في انجلترا ،وبعد حصولهما على الثانوية العامة كانت زوجتي قد نقلت عملها من العين إلى الجامعة البريطانية في دبي والتحق كل منه شادي ومها بالجامعة الأمريكية في دبي أيضا، وبعد أن انتهت مدة الدراسة بالإمارات أرسلتهما إلى جامعة برمنجهام المصنفة عالمياً لنيل درجة الماجستير ، أمّا أنا أخذتُ أفكرُ في ممارسة عملٍ كنتُ أحلُمُ بتحقيقه وهو إنشاء شركة سياحية يكون هدفها الرئيسي هو السياحة العلاجية والذي دفعني إلى ذلك هو ما وجدته أثناء تواجدي في لندن من حرصٍ شديدٍ لدى كثيرٍ من الجنسيات العربية على العلاج والتداوي في انجلترا ، أذكر أنني أثناء عملي في أحد المطاعم في لندن كان هناك رجلاً سعوديَّاً يتردد

على المطعم ومعه كل أسرته ما يقرب من عشرين فرداً ، فلما رأى مني أنني أتحدث العربية والانجليزية بطلاقة طلب مني أن أذهب به إلى الأطباء ؛ فعرضتُ الأمر على صاحب المطعم فوافق على الفور ولم يتردد لأنني كنت متميزاً جداً في عملي ولم أقصر فيه أبداً ، وأخذت الرجل السعودي وطفت به على جميع الأطباء المختصين وكانت معنا سيارة استأجرها من أجل هذا الأمر وفي نهاية اليوم يعطيني عشرين جنيهاً ، وكان يسألني هل أنت خاطب؟ فأقول له نعم ؛ فكان يعطيني خمسين جنيهاً ويقول اشتري هدية لخطيبتك ، الشاهد في ذلك كله أنني منذ هذا الوقت وأنا تراودني فكرة إنشاء شركة سياحية يكون هدفها السياحة العلاجية ، وكبرت الفكرةُ في رأسي أكثر عندما سافرت إلى الإمارات لمعرفتي أنّ معظم أهل الإمارات يسافرون إلى لندن للعلاج فأعطاني هذا الأمر دفعة قوية وجعلتني أفكر بجدية في إنشاء هذه الشركة وبالفعل قمت بالسعي وراء استخراج التصاريح الرسمية لهذا المشروع لكنني اصطدمت بأمرٍ لم يكن لي علم به من قبل ، وهو أنه لا يمكن إنشاء مثل هذه الشركات على أرض الإمارات دون وجود كفيل يكون كل شيء باسمه وتعطيه مقابل كفالته ، الأمر الذي جعلني أتراجع عن هذه الفكرة دون الندم عليها لأن الغرض الرئيسي من وراء هذا كله هو محض التسلية ليس أكثر لأنه على الجانب الآخر كانت زوجتي تعمل أستاذة جامعية في إحدى كليات جامعة العين وما هي إلا فترة ليست بالطويلة وأصبحت عميدة للكلية الأمر الذي جعلها تتعامل مع الناس من أعلى وكثرت الأنا في كل معاملاتها مما أدى إلى تدهور علاقاتها مع كثير من المقربين منها على

المستوى العملي وكذلك مع المقربين منا على المستوى الأسري ، ولم تستثنيني أنا شخصيا من هذا الأمر بعد كل ما قدمته لها من عطاء لتكون في هذه المنزلة التي لم تكن تحلم بها يوما من الأيام ، فدبت الخلافات بيننا على أتفه الأسباب وازداد الأمر سوءً واشتدت الخلافات بيننا وبلغت ذروتها بسبب الهجوم التتاري الذي قام به أهلها علينا من جديد ولكن هذه المرة في الإمارات ؛ فهذا أخوها المدعو (....) يأتي إلى الإمارات لينشأ شركة وهمية ليس لها وجود ويقوم بالنصب على الناس ومن بعده جاءوا جميعاً واحداً بعد الآخر مما أدى إلى طلاقنا مرة بعد مرة وانتهى بنا الحال إلى الفراق الأبدي فقد استنفذت عدد الطلقات وذلك منذ عامين تقريباً .

انتقام امرأة...

لم تكتفِ زوجتي بما فعلتْه معي من إنكار للجميل ومن كونها سبباً رئيسياً في فشل العلاقة بيننا ، لكنها تعمّدت بكل الطرق وتفننت في إشعال نار الفتنة بيني وبين أولادي لكي تبعدهم عني وتبعدني عنهم ، وبكل أسفٍ تمَّ مرادُها وأصبحتُ أنا وشادي في خلافات مستمرة لا تنتهي أذكر أننا أثناء رحلتنا جميعاً إلى روسيا لحضور ماتشات كأس العالم لكرة القدم ومتابعة منتخب مصر ، دبّت بيني وبينه مشادة كبيرة انتهت بأنْ تطاول عليّ بألفاظ بذيئة وهمَّ أن يضربني لولا وقوف أخته بيني وبينه ، وكانت زوجتي سبباً رئيسياً في ذلك والذي جعلني متأكداً من هذا هو بعد رجوعنا من هذه الرحلة كنت أجلس مع زوجتي في مكان عام نتناول الغداء وإذ برجل يعزف لنا أغنية شادي أحبها كثيراً وسميتُ شادي بهذا الاسم حباً في هذه الأغنية فحرّكهذا العزف واللحن الجميل بداخلي روح الأبوة وتملكتني الرغبة في أن أتصل بشادي وبالفعل قمت من مكاني ووقفت

جانباً وقمت بالاتصال به ، ألو شادي!! أيوه يا بابا أخبارك أيه؟ أنا بخير يا حبيبي ، لا تقلق عليّ ، وأنا لست غاضباً عليك ، وانتهت المكالمة بيننا بكل ودٍّ يحمله والدٌ لولده ويحمله ابنٌ لأبيه، لكن الذي أكّدَ لي أنها كانت وراء كل الخلافات التي نشبت بيني وبين أولادي هو عندما رجعت إلى الطاولة التي كنت أجلس عليها مع زوجتي سألتني وقالت هل كلمت شادي ؟ قلت نعم ؛ فإذ بوجهها يتغير وكأنها لم تكن تريد هذه المكالمة أبداً بل كانت تريد العداوة بيننا مستمرة ، وهذا ما حدث بالفعل فلقد فرقت بيني وبين أبنائي لدرجة أنّ شادي تزوج دون أن أحضر حفل زفافه وكذلك مها ، كل هذا انتقاماً مني بعد كل التضحيات التي قدمتها لأجلها .

وهكذا ينسدل الستار على هذا الجزء من حياتي المليء بالصدمات والملبَّدُ بغيوم الفراق عن أولادي فهم الأهم لي في هذا المشهد العصيب من مشاهد قصة حياتي ، أما هي.. فأنا ما زلت أتحدث وأقول (أحببتُ امرأتين من كل قلبي ولم أتزوجهما ، وتزوجتُ امرأتين لم أحبهما يوماً ما) ولستُ نادماً على شيء فعلته في حياتي إلا على زواجي من هاتين المرأتين ، ولعلك عزيزي القارئ تجد أنني لم أخفق في حياتي كلها إلا معهما أمّا باقي فصول الرواية فكنت موفقاً جدا وناجحاً بالدرجة التي يغبطني عليها أشخاصٌ كثيرون ومنهم على سبيل المثال الدكتور رمضان جاد أخي الأكبر فدائماً ما كان يقول لي (أنت يا عصام حققت اللي أنا كنت نفسي أحققه)

عصام جاد وعمل الخير

ترددتُ كثيراًفي كتابة هذا الجزء لأنه من المفترض عدم الحديث عن أعمال الخير والبر والصدقات ولكن الله تعالى يقول (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية)، ولكي يعلم القارئ أن أعمال الخير مهمة في حياة كل إنسان لأننا نجد أثرها في الآخرة عند الله تعالى ، وعلى سبيل المثال كنت أحلم أن يكون هناك مقابر جامعة لعائلة جاد تجمع كل الموتى من العائلة والتي معهم أحلى الذكريات فبحمد الله تمت بأحدث الوسائل

والتقنيات وملحق بها مقرأة لقراءة القرآن ن عمل ينفع في الدنيا بحفظ الأطفال للقرآن الكريم وينفع في الآخرة من خلال قراءة القرآن بجوار الموتى.

وكذلك أثناء جائحة كورونا

كان لمقابر جاد دور كبير في توفير اسطوانات الأكسجين والواقيات الشخصية وكذلك دورات تدريبية للتعامل مع الموتى والمصابين ، وبفضل الله التف حولي مجموعة من شباب القرية للمساعدة في عمل الخير وخصوصا في الشتاء لتوزيع البطاطين على كل المحتاجين في القرية ، وقمة الروعة والروحانيات في شهر رمضان وتوزيع كرتونة رمضان من أطيب وأجود الأنواع وإيصالها لمستحقيها وكانت دعواتهم غالية جدا لا تقدر بكنوز الدنيا وكذلك تجهيز الفتيات المقبلات على الزواج وما أدراك ما جهاز البنات في الأرياف شيء صعب للغاية لكن الحمد لله على العون . وكذلك علاج المرضى والمساهمة في العمليات الجراحية وشراء العلاج لهم والمساهمة في قطاع الصحة بتوفير بعض العدد والأدوات وكذلك صيانة الأجهزة الطبية المعطلة في جميع مركز كفر الزيات .

وأكرر ليس الهدف من سرد هذه الأعمال المنة والفضل ولا الرياء ولكن للعبرة والعظة ورد الجميل ، وكي أكون قدوة للشباب في هذا الجانب الخدمي ، وأقول لكل واحد فيهم لا تنس بعد أن تحقق أهدافك أن تساعد كل محتاج وأن ترد الجميل لأنك والله في هذه المساعدات تجد متعة كبيرة جدا .

نصيحتي لك...

نصيحه الى كل اب وكل ام(ابنى ابنك ولا تبنلوش)استثمر فى تعليم ابنائك وتنميه عقولهم والاستثمار فى تعليمهم حتى يصلو الى اعلى الشهادات كما فعلت بنفسى وزوجتى وابنائى

هذه نصيحتي لك أيها الشاب، الطامح لمستقبل أجمل أقدمها لك بعد رحلة كفاح دامت لما يقرب من ستين سنة على طبق من ذهب ، كنْ ذا هدفٍ نبيلٍ يجعلكَ في أحسنِ حال وحدده جيداً ، وكن على يقين أنك ستحققه ولو بعد حينٍ ، حلِّق في سماء شبابك بجناحين الأول هو الثقة في الله تعالى ، والثاني هو الجد والتعب والاجتهاد.

وكما قلتُ لكَ فيما سبَقَ من فُصولِ هذه الرواية ، لا تتخلى أبداً عن حُلمِكَ مهما واجهت من الصعاب والعقبات ، اجتهد دائماً في تحقيقه حتى لا يكون محض خيال أو بعض أضغاث أحلام ، فكم من حُلم جميلٍ يودُّ صاحبُهُ ألا يستفيقَ من نومه فإذا ما انشق نور الفَجر تبخَّرتْ أحلامُهُ وتكشّفتْ في الصباح آلامه يقول الشاعر: أحمد بسيوني

دعْ الأحلامَ جنباً لا تعاني ** وقمْ بالحزم واشددْ بالعِنان.

جُمُوحَ النفسِ فالآمالُ دَوْماً تُبدَّدُ في الهواءِ كما الدُّخَان.**

نصيحتي لكَ، ألا تخاف الفشلَ فتقدير الفشل مستقبلاً هو أساس الفشل حاضراً ومستقبلاً.

نصيحتي لك ، ألا تعتقد أبداً أنَّ هناك شخصٌ ناجحٌ في كل شيء ؛ فإذا اعتقدتَ هذا الاعتقاد لن تنجح في شيء ، إنما معيار

النجاح أن تكون ناجحاً في معظم أهدافك وأحلامك ، ربما تفشلُ في شيء وتنجحُ في أشياء.
نصيحتي لك، ألا تغفل حق الله عليك قبل تحقيق ذاتك وبعد أن تكون ما أردتَ ، اجعل الله تعالى لك في كل الأمور وكيلاواستعن به يعينك ويكفيك. قال الله تعالى " ومَنْ يتوكَّلْ على الله فهو حسبه" وفي النهاية أترك لك القرار عزيزي القارئ , هل نجح عصام جاد في حياته وتحقيق أحلامه منذ أن كان طفلا صغيرا أم أنه مع تحقيق كل هذه الأحداث مازال هناك أشياء كان من الواجب أن تكون ؟
ماذا كنت تفعل لو كنت مكانه ؟ هل ستمشي نفس هذه الخطوات على هذا النهج ؟ هل ستتخذ نفس القرارات التي اتخذها هو أم أن لك رأي آخر؟ مع الأخذ في الاعتبار أنه خرج من قرية (أبو الغر) طفلا صغيرا لا يملك شيئا وبعد رحلة كفاح طويلة لم ينس أهله وبلده ، وعاد صاحب الخمسة وستين عاما إلى نفس القرية ولكن بصورة مختلفة، عاد لرد الجميل وفعل الخير ومساعدة المحتاج على الرغم من استطاعته وقدرته على أن يكون في مكان آخر يستجم فيه ولا يلقي بالا لما يحدث في قريته.

محتوى الكتاب

محتوى الكتاب 2

إهداء 3

مجرد سؤال 4

منذ اللحظة الأولى 4

قبل الحكم 5

نشأة المكافح 6

أما أنا (عصام جاد) 6

ابن العشرة أعوام يحمل حقائب المسافرين بمحطة قطارات طنطا 10

ابن العاشـــــرة من عمره يبيع الذرة المشوى عند باب الكنيسة 13

لحظة انكسارك قد تكون سبب انتصارك 14

خوفو خفرع منكاورع 15

لا تلتفت لمن يسخر منك فهو واحد من اثنين إما عاجز عن فعلك
أو قاصر الفهم والرؤية 16
من يسخر منك اليوم غدا يتمنى أن يكون مثلك 17
التخطيط لتحقيق الحلم 19
البيت ملبد بالغيوم ويسيطر عليه الترقب والقلق 20
المشهد يتكرر من جديد 22
فكر خارج الصندوق 24
بعض الضربات التى لا تميتك تقويك 25
الإنسان الحر لا يقبل الإهانة أبدا 27
وهكذا يكون الإنسان الناجح 30
استراحة المقاتل 31
لا تكن أنانيا 32
الوفاء بالوعد 34
من كان فى عون أخيه كان الله فى عونه 35
كن دائما الرجل الأول ، لا تكن ظلا لغيرك 37
الجانب العاطفى فى حياة عصام جاد 38

الحلم الجميل يتحول إلى كابوس مفزع 39
لا تجعل تعثرك فى شئ يثنيك عن مواصلة حلمك 42
كن متمردا 43
جامع الأقطان ، حامل الحقـــــائب ، بائع الدجاج يطير إلى لندن
..... 44
عند الثالثة فجرا 45
بعد ست سنوات 46
محطة فيكتوريا كوتش استيشن 48
حين تأتيك الفرصـــــة لتكون الرجل الأول تشبث بها فقد لا تأتيك
أبدا 50
ديسكو بيكا ديللى 52
نعود إلى الجانب العاطفى فى حياة عصام جاد (ماندى) .. 56
امرأة تزوجتها (الإنجليزية) قرارات خاطئة 62
أول أسباب الفشل هى خوفك من الفشل 70
امرأة تزوجتها (المصرية) قرارات خاطئة 74
أثناء شهر العسل 76

عصام جاد الزوج 77
شادى ومها 79
شبح الخوف يطاردنا من جديد 80
الجزاء من جنس العمل 84
انتقام امرأة 89
عصام جاد وعمل الخير 91
وكذلك كانت جائحة كورونا 92
محتوى الكتاب 95